ألف المد : بين السماع والنظر

من إعداد الدكتور

محمود عمر

المدرس بقسم النحو والصرف والعروض

كلية دار العلوم – جامعة القاهرة

فرع الفيوم

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد :

من أظهر ما يؤخذ على منهج اللغويين العرب القدامى في معالجتهم للحقائق اللغوية الخاصة بأحرف العلة وتنظيم هذه الحقائق وتقعيدها أنهم خلطوا – أحياناً – بين الصوت المنطوق وصورته المكتوبة مما أدى إلى الاضطراب[١] وكثرة الأوهام " في قواعدهم وقوانينهم وأحكامهم" [٢] ، " وعلى الأخص في أبنية اللغة (الصرف) وأوزان الشعر [٣] " ، ومن ذلك أنهم " ظنوا الألف حرفاً ساكناً وهو في الواقع رمز للفتحة الطويلة " [٤] .

وإذا كان (الرمز) هو العلامة أو الوسيلة أو الحيلة المستخدمة في الكتابة للدلالة على الصوت وتمثيل نطقه وتصويره [٥] فالواقع أن الرمز المعروف لنا الآن هكذا [ا] والمسمى في التراث العربي بـ (الألف) لم يوضع– من أول أمره – ليكون رمزاً للصوت الذي يسميه المحدثون : الفتحة الطويلة، ويسميه القدماء : ألف المد ، أو غير ذلك مما سيرد ، بل يمكن القول إن (الألف) مرت بمرحلتين متداخلتين لا تعين المصادر على الفصل الدقيق بينهما وتمييز حدودهما :

– فقد كانت (الألف)– في الأصل – اسماً للهمزة المحققة نطقاً، واسماً لصورتها في الكتابة، هذه { ا }، وكانت – في الوقت نفسه بطريق التشبيه اسماً للصوت المعروف بألف المد واسماً لرمزه وصورته في الكتابة إذا وصل بغيره من رموز الأصوات كما في نحو: قام وسار وكتاب وغزا، أما في التهجي– أي عند عد الحروف وتسمية صورها – فكانت تكتب هكذا [لا] وتنطق بزنة [ما ويا].

ومما يدل على هذا :

– قول ابن عصفور : " فالألف اسم للهمزة ... فأما الألف التي هي مدة فلم يتمكن ذلك في اسمها ... فسميت ألفاً باسم أقرب الحروف إليها في المخرج وهو الهمزة " [٦].

– وقول ابن جنى : " اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة .. ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال.. [٧].

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- وقـول ابـن عصفور في رده على المبرد الذي يخرج (الهمزة) من حـروف المعجـم: " فأما عدم استقرار صورتها (أي الهمزة) على حال واحدة فسـبب ذلك أنها كتبت على حسب تسهيلها ، ولولا ذلك لكانت على صورة واحدة وهى الألف ، ومما يدل على ذلك أن الموضع الذي لا تسهل فيه تكتب فيه ألفا بأي حـركة تحركت ، وذلك إذا كانت أولا نحو : أحمد وأبلم وإثمد"[٨] ، فرمز الهمزة المحققة وصورتها في الكتابة هذه [ا] تسمى(الألف) .

والواقـع أن المبرد يدع رمز الهمزة أو صورتها هذه (ا) ويبدأ حروف الهجـاء بالباء [٨] ، ولا يدع الهمزة نفسها باعتبارها صوتا ، بدليل أنه يقول : " حـروف العربـية خمسة وثلاثون حرفاً منها ثمانية وعشرون لها صور " ، فهذا باعتـبار صـور الحروف ، أما الحروف الأصول باعتبارها أصواتاً مرتبة على مخارج صوتية فقد عدها تسعة وعشرين منها الهمزة والألف .[٩]

أمـا " الألف المدة التي في نحو سار وقام وكتاب وحمار فصورتها أيضاً صـورة الهمـزة المحققة التي في أحمد وإبراهيم وأترجّة ... فصورتها وصورة الهمزة المتحركة واحدة " [١٠] هكذا [ا] في الوصل كما مثّل، أما في التهجي فإنها تدعم باللام قبلها فتكتب هكذا [لا] وتنطق بزنة [ما ويا]، ولا يقال في اللفظ بها " لام ألـف " فهذا " قول من لا خبرة له بحقيقة اللفظ بحروف المعجم " وهو خطـأ، أو مـن كـلام العامة أو المعلمين [١٠] ، وهذه محاولة للتمييز بين رمزي الصـوتين علـى مسـتوى التهجي ، أما في حالة اتصالهما برموز غيرهما من الأصـوات فصـورتهما واحـدة هكذا [ا] فما يزال الخلط بينهما قائماً في اتحاد الرمز الدال عليهما مما دعا إلى محاولة التفريق – من جانب آخر – بين الصوتين بأوصاف خاصة تميز كلاً منهما ، فوصفت الهمزة بأنها " الألف المتحركة " أو " الهمزة المتحركة " التي يبتدأ بها لتحركها، ومخرجها "من الصدر " [١١] ، ووصفت ألف المد بأنها "مدة ساكنة" [١٢]، ومخرجها فوق مخرج الأولى"من أول الحلق"[١٣]، ولكونها ساكنة "لا يمكن الابتداء بها"[١٤] أي لا يمكن النطق بها منفردة دون وصل

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بغيرها [١٥] من رموز الأصوات الصامتة،ولذا دعمت في الرسم الهجائي بلام قبلها كتابة ونطقاً هكذا[لا]،كما مر.

- ثم أتى على (الألف) مرحلة أخرى اتخذت فيها اسماً لألف المد وحدها واسماً كذلك لصورتها في الكتابة هذه [ا] ، ويبدو أن هذا نجم عن استحداث رسم خاص بالألف المتحركة سمي في غير التهجي همزة ، ويفهم هذا من مثل قول بعضهم " الألف على ضربين لينة ومتحركة ، فاللينة تسمى ألفا ، والمتحركة تسمى همزة ، والهمزة اسم مستحدث لا أصلى وإنما يذكر في التهجي الألف لا الهمزة " [١٦] على الأصل في تسمية الهمزة بالألف .

والقول بأن الهمزة " اسم مستحدث لا أصلى " يقبل بالنظر إلى صورتها ورمزها في الكتابة والاسم الذي أطلق على هذا الرمز، أما باعتبارها صوتاً فليست مستحدثة ولكنها " موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط " [١٧] وكانت تعرف - في وقت ما - بهذا الاسم، وباسم آخر هو النبر ، أو توصف به ، ويفهم هذا مما روى عن الإمام على أنه قال : " نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمز على النبي - صلى الله عليه وسلم - ما همزنا " ، ونهى الرسول عن النبر باسمه في قول أحدهم : يا نبيىء الله ، وفى رواية أنه قال : إنا معشر قريش لا ننبر [١٨] ، ووصفت الهمزة بأن "لها نبرة كريهة تجرى مجرى التهوُّع "[١٨] ، فالمستحدث هو الاسم الذي أطلق على صورة الهمزة وهي صورة مستحدثة أيضا ، إذ ابتكرها الخليل بن أحمد في القرن الثاني الهجري على شكل رأس العين هكذا [ء] يرسم فوق الصورة الأصلية القديمة للهمزة هذه (ا) أو تحتها أو على حامل آخر مستعار من صورة الواو أو الياء ، أو يرسم بدون حامل طبقاً لقواعد معينة في الرسم الإملائي . وبابتكار هذا الرمز (ء) لصوت الهمزة المحققة خلصت صورتها القديمة الأصلية هذه (ا) واسمها الأصلي القديم كذلك وهو (الألف) لرسم ألف المد واسمه.

وقد لخص الرضي أمر الهمزة وساقه بصيغة المبنى للمجهول دون نسبة لأحد في قوله: إن المصنف " ذكر أولاً حال الحرف الذي ليس له صورة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مخصوصـــة بل له صورة مشتركة وتستعار له صورة غيره، وهو الهمزة، وذلك أن صـــورة الألـــف:أعـــنى هذه(أ)[١٩]. لما كانت مشتركة في الأصل بين الألف والهمزة – ولفظة الألف كانت مختصة بالهمزة لأن أول الألف همزة... – استعير للهمزة في الخط وإن لم تخفف صورة ما يقلب إليه إذا خففت، وهى صورة الواو والياء ثم يُعلَّم على تلك الصورة المستعارة بصورة العين البتراء هكذا (ء) ليتعين كونهـــا همـــزة، وإنما جعلت العين علامة الهمزة لتقارب مخرجيهما، فإن لم تكن الهمـــزة في موضع التخفيف.. وذلك إذا كانت مبتدأ بها كتبت بصورتها الأصلية المشتركة أعنى هذه (ا) ، نحو : إبل وأخذ وأُخذ ... "[٢٠] .

هـــذا، ولـــيس من أغراض هذا المبحث النظر في (الألف) من حيث ما أطلقـــت علـــيه وتتبع مراحل تطور صورتها بالتفصيل [٢١] وإنما يهدف إلى تقديم دراســـة موجزة في (ألف المد) باعتبارها صوتاً (فتحة طويلة بتعبير المحدثين)، بصـــرف الـــنظر عن رمزها أو رسمها وتطوره في الكتابة ، وهى دراسة – في معظمها – تصف (ألف المد) بالاعتبار السابق منفردة وفى بعض حالات تركيبها مع غيرها من رموز الأصوات، مع التعرض لما لها – أحياناً – من وظيفة نحوية كألف المثنى.

وتعتمد هذه الدراسة في مادتها على مصدرين أساسيين :

الأول : السماع ، وذلك بتتبع ما روته أهم كتب التراث من عادات كلامية في نطق هذه الألف في السياق أو التركيب ، ونسبة هذه العادات إلى بيئات عربية قديمـــة ، أو قوم معينين من العرب القدماء ، تعرف ما قد يكون لها من امتداد في لغات – أو لهجات – عربية حديثة .

الـــثانى : الـــنظر ، وذلـــك بالـــرجوع إلى أهم أقوال علماء اللغة القدماء والمحدثين، وتعرف آرائهم وقواعدهم التي بنوها على نظرهم في هذا المروى.

وإذا كان من شأن الدراسة الوصفية أن تعنى " بالموجود أو بما هو كائن، لا بمـــا كان أو بما يفترض أنه كان " [٢٢] فليس من أهداف هذا المبحث التعرض لأحـــوال ألف المد التي تعد فيها أصلية أو زائدة أو مبدلة من غيرها كالواو والياء

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والهمزة، أو مبدلاً منها غيرها أو نحو ذلك من تصورات الصرفيين[٢٣] فإن أكثرها – وبخاصة فيما يعرف بباب الإعلال – يقال إنها تصورات تجافى طبيعة اللغة وتقع تحت تأثير خداع الكتابة أحياناً مما كان من أسباب التعقيدات التي لا حصر لها في قواعدهم في هذا الباب ونحوه، وهى تصورات قائمة على رؤية افتراضية معيارية تفترض وجود أصول متوهمة في نظر كثير من المحدثين الذين يرفضونها [٢٤] ، بل من القدماء من أدرك حقيقتها ، كابن جنى الذي قال: "هذا الموضع كثير الإيهام لأكثر من يسمعه، لا حقيقة تحته ، وذلك كقولنا : الأصل في قام قَوَمَ ، وفى باع بَيَعَ ، وفى طال طَوُلَ وفى خاف ونام وهاب خَوِفَ ، ونَوِمَ ، وهَيِبَ ... وفى استقام استَقْوَمَ .. فهذا يوهم أن هذه الألفاظ وما كان نحوها مما يُدَّعَى أن له أصلاً يخالف ظاهر لفظه – قد كان مرة يقال.. وليس الأمْر كذلك بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه . وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا أنه لو جاء مجئ الصحيح ولم يعلل (كذا) لوجب أن يكون مجيئه على ما ذكرنا ، فأما أن يكون استعمل وقتاً من الزمان كذلك ثم انصرف عنه فيما بعد إلى هذا اللفظ فخطأ لا يعتقده أحد من أهل النظر"[٢٥] .

والعلة في إفراد (ألف المد) بالبحث دون أختيها (الواو والياء) – مع ما يجمع بين الأصوات الثلاثة من أحكام – أمران يهدف البحث إلى تجليتهما :

الأول : أن لألف المد أحكاماً خاصة – في السماع والنظر – تنفرد بها دون أختيها.

الثانى: أن لها مزايا خاصة في بعض الأحكام التي تجمع بينها وبينهما.

ومن ذلك :

أ و ب – تنفرد (ألف المد) دون أختيها بأن من العرب من يهمزها قبل الحرف المدغم ، وهذا مترتب على خاصية أخرى تنفرد بها – أيضاً – وهى أنها لا تكون إلا ساكنة ، فكان همزها – في هذا الموضع في نظر بعضهم – عوضا عن تحريكها ، أو لتحمل الحركة الواجبة للفرار من الساكنين ، لأنها بطبيعتها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ودون همز لا تقبل الحركة في هذا الموضع ولا في غيره ، أما الواو والياء فإنهما تحركان أحياناً [٢٦] ، فيمكن تحريكهما – هنا – فراراً من الساكنين بخلاف الألف.

ويعبر المحدثون عن هذه الخاصية بأن (ألف المد) لا تكون إلا حركة – أو مصوتا – أما الواو والياء فقد يكونان حركتين – أو صائتين خالصين – هما الضمة الطويلة والكسرة الطويلة كما في (يدعو ويرمى) ، وقد يكونان صامتين، أو من أنصاف الحركات، كما في (ولد ويلد) [٢٦] وهذا تقسيم أدركه جمهور القدماء ، ولا تنفرد به الألسنية الحديثة [٢٨] .

جـ- يرى بعض الدارسين أنه " تكاد التأثيرات الصوتية النوعية التي تلحق الأصوات الذائبة عند وقوعها في التركيب تنحصر في الألف وأختها الفتحة، حيث يلحقهما التفخيم والترقيق تبعاً للأصوات التي تجاورهما ، أما الواو وأختها الضمة ، والياء وأختها الكسرة فإنها أقل تأثراً " [٢٩] .

د- ألف المد – باعتبارها حركة هي الفتحة الطويلة بأوصافها التي سترد – تمثل في التركيب أو السياق جنساً تحته أنواع ، منها ما سماه القدماء : ألف الإمالة وألف التفخيم ، فهما حركتان فرعيتان عن ألف المد .

ويرى بعض المحدثين أن الإمالة بنوعيها – أو الألف الممالة إلى الواو أو إلى الياء – تمثل مرحلة من مراحل تطور ما يعرف بصوت اللين المركب (من الواو الساكنة أو الياء الساكنة بعد فتح) إلى ألف المد الخالصة ، ولكل مرحلة من هذه المراحل مسموع في اللغة يمثلها [٣٠] وينبغى أن يكون محل وصف ودراسة ونظر .

وقد يقال إن البحث في تعرضه لمثل هذه الأمور يخلط بين بيئات لغوية متعددة ، أو لا يعتمد على مصدر واحد للمادة المدروسة ، وهذا منهج في البحث كان من أسباب التناقض والتضارب في الأحكام حول الظاهرة الواحدة ، ومن أسباب التعقيد والاضطراب في القواعد في بعض المواضع [٣١] ، غير أن هذا بحث لا يضع قواعد ولا يصدر أحكاماً ، وإنما يهتم بوصف ظواهر مسموعة في (ألف المد) ، أو في بعض أنواعها وأحوالها ، وتعرف اتجاهات اللغويين في

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

نظـرهم فـي هذه الظواهر وما أثير حولها من درس وما تعلق بها من رأى تبعاً لذلـك . ومـع أن هذه الظواهر تمثل – في أصلها – لهجات خاصة إلا أنها – أو معظمهـا – صارت من عناصر اللغة العربية النموذجية العامة ، والواقع الذي لا يمكن تغييره هو أن هذه اللغة " قد اتخذت بعض صفاتها من لهجات متعددة " [٣٢] كانت أساساً لوضع قواعدها [٣٣] .

هـ- وصف القدماء (ألف المد) بأنه الحرف الهاوى الذي " اتسع لهواء الصـوت مخـرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو ... " فهو أوسع مخرجـاً منهما[٣٤] ، ويترتب على ذلك أن يكون مدها الطبيعى أطول من مدهما [٣٥]، وأن تكـون أوضـح فـي السمع منهما[٣٦] ، لأن التصويت فيها أكثر من التصـويت فيهما"[٣٧] .

و- " أن أصـل المـد و أوفاه وأعلاه وأنداه إنما هو للألف ، وإنما الياء والـواو في ذلك محمولان عليها وملحقان في الحكم بها " وهى أعرق وأرسخ و " أوفى صوتا وأنعم جرسا" منهما حتى كأنها أصل في المد دونهما [٣٨] .

هـذه الأسباب – ونحوها – هي أهم دواعي إفراد (ألف المد) بالبحث – هـنا – دون أختـيها [الواو والياء] مع ما يجمع بينها وبينهما من أحكام لغوية، وهـى – في الوقت نفسه – أهم حدود البحث أو مجالاته التي يتحرك في إطارها ويهدف إلى تعرفها.

ويمكن إجمال الحديث في هذه الحدود في النقاط التالية :

أولاً : ألف الطبيعة المعتادة :

أ- أوصافها .

ب- العلاقة بينها وبين الفتحة القصيرة.

جـ- مواضع إشباع الفتحة القصيرة حتى تصير ألف الطبيعة المعتادة.

د- تقصير ألف الطبيعة المعتادة حتى تصير فتحة قصيرة.

هـ- إشباع الألف المعتادة (= تطويلها)، وإضعاف الألف المشبعة (=تقصيرها)

و- همز الألف (= نبرها).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ز- أطوار ألف المد ودراستها :

- ألف المثنى .
- ألف المقصور المضاف إلى ياء المتكلم .
- الألف المتطرفة الموقوف عليها .
- ألف (إلى وعلى ولدى) .

ثانياً : ألف الإمالة وألف التفخيم :

ويمكن بسط الحديث في هذه النقاط على النحو التالي :

أولاً : ألف الطبيعة المعتادة :

هكذا سماها بعض النحاة لتمييزها عما سماه " ألف الإمالة وألف التفخيم ، والألف التي بين اللفظين في مثل : الأبرار ... " [٣٩] يقصد أنها الألف الممدودة مداً طبيعياً ، أو هي الألف المحضة التي لا إمالة فيها ولا تفخيم .

وسماها بعضهم الألف المنتصبة [٤٠] ، ولعله راعى صورتها التي تكتب منتصبة هكذا[ا] بعد رموز الأصوات الصامتة ، وأراد التفريق – من جهة الرسم – بينها وبين الألف المنبطحة فوق صورة الصوت الصامت ، وهى رمز الفتحة القصيرة .

وكثيراً ما تسمى : ألف المد الساكنة تمييزاً لها عن الألف المتحركة وهى الهمزة ، كما سبق ، وقد تسمى الألف اللينة في مقابل الألف اليابسة وهى الهمزة أيضاً [٤١] .

ولا خلاف بين اللغويين في أن هذه الألف حركة هي الفتحة الطويلة بتعبير المحدثين ، " الفتحة المشبعة " [٤٢] بتعبير بعض القدماء .

أما كونها حركة فلأن الخواص النطقية العامة للحركات تنطبق عليها، وقد وصفها القدماء – في مواضع متفرقة – بأهم هذه الخواص ، فهي مصوتة[٤٣]، ساكنة [٤٤] ، مجهورة [٤٥] ، وعند النطق بها تجد " الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر " [٤٦] .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وتلتقى هذه الأوصاف مع تعريف المحدثين للحركات عامة بأنها الأصوات التي يحدث أثناء النطق بها " أن يمر الهواء حراً طليقاً من خلال الحلق والفم [٤٧] دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل ، ودون أن يضيق مجرى الهواء ضيقاً من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ، ودون أن ينحرف عن وسط الفم إلى الجانبين أو أحدهما ، وهى في العادة صوت مجهور " [٤٨].

وأمـا كونها فتحة فلأن الخصائص النطقية للفتحة تنطبق عليها ، فاللسان معهما " يكاد يكون مستوياً ... في قاع الفم مع ارتفاع خفيف في وسطه وربما ينحو هذا الارتفـاع نحـو الخلـف قلـيلاً " ووضع الشفتين حال النطق بهما محايد، فليستا مضمومتين كوضعهما مع الضمة ، وليستا منفرجتين كوضعهما مع الكسرة [٤٩] .

ويكمن الفرق بين الفتحة القصيرة وألف المد في أمرين :

أ- الزمن المستغرق في نطق ألف المد " أطول نسبياً " من الزمن المستغرق في نطق الفتحة القصيرة ، مما يؤدى إلى زيادة في الاتساع بين الشفتين .

ب- ألف المد تقارن وظائفها اللغوية بوظائف واو المد ويائه [٥٠] .

وللأمر الأول أضيفت (الألف) إلى المد ، ووصفت بأنها الفتحة الطويلة، وهذا يلخص العلاقة بينها وبين الفتحة القصيرة من حيث الكمية ، أو الزمن الذي يستغرقه نطق كل منهما ، وهى علاقة الطول والقصر .

وقـد عـبر جمهور القدماء عن هذه العلاقة دون تحديد لنسبة زمن إحدى الحركتين إلى زمن الأخرى، كما في نحو قول ابن جنى " الفتحة بعض الألف"[٥١] أو هـي " الألف الصغيرة " التي إذا مد الصوت بها تولد عن ذلك ألف المد [٥٢] ، وهى – أي الألف – " فتحة مشبعة " [٥٣] ، " والمفتوح هو الذي إذا أشبعت حركته حدثت عنها ألف " [٥٣] .

وحـدد ابـن سـينا هـذه النسبة في قوله : " ولكنني أعلم يقيناً أن الألف المصوتة تقع في ضعف أو أضعاف زمان الفتحة " [٥٤] .

والمحدثـون يحددون الزمن الذي تستغرقه ألف المد بضعف الزمن الذي تستغرقه الفتحة [٥٥] ، وهذا مما استقر عليه الرأي حالياً [٥٦] .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والواقـــع أنه لا تناقض بين رأى المحدثين ورأى ابن سينا ، ذلك لأن المد في الألف على نوعين :

أ- المـــد الطبيعـــي (أو الأصـــلي) الذي لا تقوم ذات الألف وحقيقتها إلا به، وزمنه يعادل ضعف زمن الفتحة القصيرة.

ب- المـــد الزائد على المد الطبيعي- بالإشباع- ويقع في أكثر من ضعف زمن الفـــتحة القصيرة، وكلام المحدثين منصرف إلى النوع الأول، وكلام ابن سينا يشمل النوعين كليهما، فلا وجه لمأخذ عليه ولا مطعن فيه.

وقـــد تـــتعرض الألـــف الممـــدودة مدا زائداً للتقصير فتعود إلى طبيعتها المعـــتادة، وقـــد تقصـــر هذه الألف المعتادة فتعود فتحة قصيرة، وقد تختلس هذه الفتحة فيؤتى ببعضها، ودون ذلك السكون.

ويمكـــن تمثيل ظاهرة المد والقصر-أو الإشباع والإضعاف-في الألف على النحو التالي:

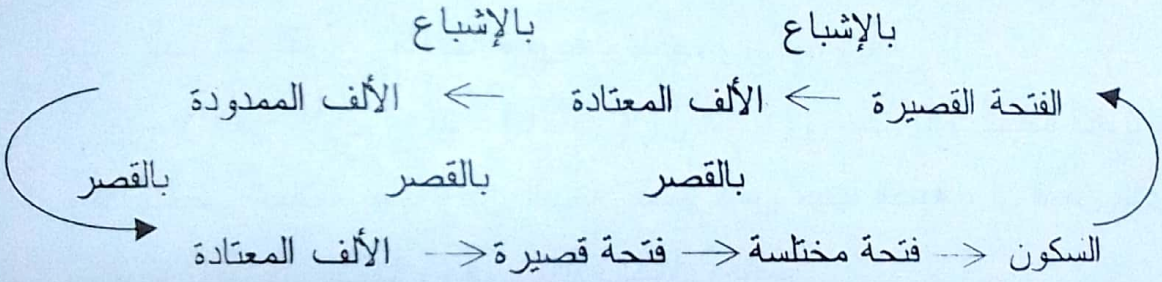

والإشباع - بشكل عام - نوع من تقوية النطق بالصوت ، والقصر نوع من إضعافه [٥٧] .

وإذا وقفـــنا عـــند هذه الظاهرة ؛ ظاهرة الإشباع والإضعاف في الألف ، لدراســـتها والـــتعرف على مظاهرها في التركيب وآراء اللغويين فيها فإنه يمكن إجراء ذلك على النحو التالي :-

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أولاً :- إشباع الفتحة القصيرة وتقصير الألف المعتادة .

أ- إشباع الفتحة القصيرة : ألف الإشباع .

عرض ابن جنى لظاهرة إشباع أصوات اللين قصيرها وطويلها ، ووصف كيفية حدوث هذا الإشباع وسماه المَطْل ، فقال بعنوان : " باب في مَطْل الحركات": " وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها ، فتنشئ بعد الفتحة الألف وبعد الكسرة الياء ، وبعد الضمة الواو..."(٥٨) .

وينبغى أن يحمل قوله : " فتنشئ بعد الفتحة الألف .. الخ " على أنه تطويل للحركة القصيرة الموجودة بالفعل وليس إنشاء جديداً ، لأنه لا يتصور إنشاء حركة طويلة بعد حركة قصيرة ، أي تحريك الحركة ، وهذا الوصف معتمد فيه على الخط إلى حد كبير ، فالواقع الموجودُ بالفعل من الناحية الصوتية هو تطويل الحركات القصار ومطلها وإشباع الصوت بها فتكون ضعف ما كانت عليه وهى قصيرة ، ذلك لأن " الحركات (يعنى القصيرة) أبعاض حروف المد واللين وهى الألف والياء والواو .. فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو ، وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة ، والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة ، وقد كانوا في ذلك على طريقة مستقيمة"(٥٩) .

ومع هذه الدقة في وصف ظاهرة إشباع الحركات ، ومنها إشباع الفتحة حتى تصير ألفا فإن ابن جنى يقسم على أن " هذا مما تختص به ضرورة الشعر وقلما يجئ في النثر "(٦٠) ، ولكنه قال في موضع آخر : " وقد جاء من هذا الإشباع الذي تنشأ عنه الحروف شئ صالح نثراً ونظماً " وحكى أمثلة منهما(٦١) ، وخرج كثيراً من القراءات على الإشباع ، والقراءة لا ضرورة فيها، ولولا كراهة الإملال والسآمة لأتينا بما قاله من ذلك في كتابه (المحتسب) ، وسيرد في هذا البحث الإشارة إلى بعض مواضعه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والـرأي أن الإشباع – بصفة عامة – قد يكون ضرورياً وليس ضرورة، وذلك للحاجة إليه في بعض المواضع من جهة المعنى وتخريج النصوص والنظر في اللغة.

فأما من جهة المعنى فإن المقام قد يقتضى إشباع حركة الصوت القصيرة للدلالة على معنى معين لا يدل عليه إلا بالإشباع كما في مقام الوعيد والإغلاظ(٦٢) والتعظـيم والمـبالغة والـتدبر(٦٣) ونحو ذلك، مما يحتاج إلى " الروية والتثبت " والـتأنى والتمادى ، " لا الإسراع والاستحثاث " فيمد الصوت لإبراز هذه المعانى ونحوها مما لا يتأتى بدون الإشباع (٦٤) وتمكين الصوت.

وأما الحاجة إلى الإشباع – والإضعاف أيضاً – في تخريج النصوص ،- وبخاصـة القراءات القرآنية -فحدث ولا حرج وهى من الكثرة والشهرة بحيث لا تحتاج إلى تدليل ، وسيرد في هذا البحث شئ من ذلك .

وأما حاجة أهل النظر في اللغة إلى الإشباع – والإضعاف كذلك – فلأنهما وجهان لظاهرة تكاد تكون هي "التفسير المقبول الوحيد لعدد من الظواهر المفردة المبعـثرة في العربية الفصحى " التي يمكن جمعها " تحت عنوان واحد وفى إطار ظاهرة واحدة " هي الإشباع والإضعاف (٦٥) .

وإشباع الفتحة القصيرة حتى تصير ألف الطبيعة المعتادة (أى ضعف هذه الفتحة) وارد مسموع سائغ شعراً ونثراً في أثناء الكلمة وفى آخرها ، سواء أكانت الفتحة علامة إعراب أم علامة بناء ، وخرجت عليه القراءات القرآنية ، وهذا كله يقطع بأن ذلك الإشباع لا يختص بالضرورة وإن جاء شئ منه لأجلها، كما سيرد، بـل هـناك مواضع يمكن اعتبارها قياسية لإشباع الفتحة القصيرة أو تطويلها في التركيب ، وهى ما يعبر عنها القدماء بمواضع زيادة الألف ، وفى بعضها يعدون الألف مبدلة من صوت آخر ، ومنها :

الأول : إشـباعها في الوقف على مفتوح الآخر من الأسماء غير المؤنثة التي يوقف عليها بالهاء في بعض لغات العرب ، وذلك يشمل :

أ- ما ينون في الوصل . ب- مالا ينون فيه .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- ومن الأول (الذي لا ينون به الوصل) :

أ- المبنى على الفتح مثل : وَيْها وإيها .

ب- المنصوب المؤنث بالتاء ، والمنصوب المذكر مثل : رأيت أختا ، وبنتا ، وأكرمت زيدا .

جـ- المنصوب الموقوف على آخره بالتاء في بعض لغات العرب ، مثل : رأيت

وجمهور القدماء في وصفهم هذا الموضع يعدون (الألف) في الوقف بدلا من التنوين الذي كان في الوصل [٦٦] ، وقال سيبويه : " أما كل اسم منون فإنه يلحقه في حال النصب في الوقف الألف " [٦٧] وهذا تعبير أدق إذا فهم أن إلحاق الألف في الخط تعبير عن إطالة الصوت بالفتحة حتى تصير ألفاً . وهذه لغة قريش ومن حذا حذوهم من الحجازيين الذين يسقطون الضم والكسر في الوقف على الاسم المنون ويبقون الفتح " وربما كان السر في الإبقاء على الفتح أنه أوضح في السمع من الضم والكسر ويتطلب زمناً أطول للنطق به، وسقوط الصوت الأكثر وضوحاً من الكلام يبرز للسامع بصورة تشعره بفقدان شئ أو نقصان شيء ولاسيما إذا كانت الفتحة مع التنوين قد تحولا إلى ألف " [٦٨] والواقع - كما مرر - أنه لم يحول شيء إلى شيء وإنما طالت الفتحة في آخر المفتوح عند الوقف عليه ، أما التنوين فإنه خاص بالوصل .

- ومن الثانى ، (الذي لا ينون في الوصل) :

أ- المعرف باللام نحو : ضربت الرجلا ، وهذه لغة لبعض العرب وصفت بالقلة والشذوذ وعدم الاعتداد بها [٦٩] .

ب- ما يقع في رؤوس الآيات تشبيهاً لها بالقوافى ، كما في قوله تعالى : "وتظنون بالله الظنونا " - " فأضلونا السبيلا " - " كانت قواريرا " [٧٠] قال ابن جنى : " زيدت هذه الألفات في أواخر هذه الأسماء التي لا تنوين فيها [٧١] لإشباع الفتحات وتشبيه رؤوس الآى بقوافى الأبيات" [٧٢] ، وقال أبو حيان : زيدت الألف في (الظنونا) و (السبيلا) "لتتفق الفواصل كزيادة الألف في الشعر للإطلاق" [٧٣] .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جـــ--المنصوب الذي لا ينصرف ، وهذا محكى عن بعض العرب يقفون " على جميع مالا ينصرف إذا كان منصوباً بالألف " نحو : رأيت أحمدا ، وكلمت عثمانا، ولقيت إبراهيما ، اجتلبوا الألف " فيما لا ينصرف لخفتها وكثرة اعتيادهم إياها لاسيما وهم يجتلبونها فيما لا يجوز تنوينه في غير الشعر " (٧٤) .

وينبغى أن يحمل اعتبار الألف زائدة أو مجتلبة - هنا - على أن ذلك في الخط للتعبير عن تطويل الفتحة أو إشباعها ، كما صرح به ابن جنى .

الموضع الثانى : إشباع الفتحة في الوقف على نون التوكيد الخفيفة المفتوح ما قبلها ، كما في قوله تعالى : " لنسفعا " ولذلك رسم بالألف على نية الوقف(٧٥) ، وهو كثير(٧٦) ، ونون التوكيد في هذا تشبه تنوين المفتوح آخره(٧٧) ، وقيل في تخريج قراءة الجماعة : " ألقيا في جهنم كل كفار عنيد " : إن المراد " أَلْقِيَنْ " بالنون الخفيفة ثم صارت ألفا في الوقف وأجرى الوصل مجراه (٧٨) .

الموضع الثالث : إشباع الفتحة في الوقف على (إذاً) تشبيها لها بتنوين المنصوب ، وعلى هذا يكتبها الجمهور بالألف وهى كذلك في المصاحف (٧٩) ومنع ذلك بعض النحاة وأوجبوا الوقف بالنون ، وأجاز بعضهم الوجهين(٨٠) .

قال ابن جنى : " وإنما أبدلت الألف من نون " إذن " هذه ونون التوكيد التي تقدم ذكرها آنفاً لأن حالهما في ذلك حال النون التي هي علم الصرف" (٨١) واعتبار (الألف) مبدلة من نون التوكيد الخفيفة أو نون (إذن) عند الوقف عليهما مراعى فيه - إلى حد كبير - صورة الكلمة في الخط التي يظهر في آخرها رمز الألف هكذا [ا] بدلاً من رمز النون ، فإذا اعتقد أن هذا الخط تعبير عن إطالة الصوت بالفتحة في الموضعين بعد إسقاط النون في الوقف كما تسقط الضمة والكسرة فيه - استقام هذا الوصف .

الموضع الرابع : إشباع الفتحة لبيان الحركة في الوقف كما تبين الحركة بهاء السكت - ومن ذلك قولهم : جئ به من حيث وليسا ، أي وليسَ ، فأشبعت حركة السين على وجه من التخريج - لتبين في الوقف(٨٢) ، قال سيبويه : "وقد استعملوا في شيء من هذا الألف في الوقف كما استعملوا الهاء ، لأن الهاء أقرب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المخـــارج إلـــى الألـــف وهى شبيهة بها . فمن ذلك قول العرب : حَيَّهَلا ، فإذا وصـــلوا قـــالوا : حَيَّهَلْ بعمر ، وإن شئت قلت حَيَّهَلْ [٨٣] ، أي أن الوقف جائز بتســـكين الـــلام في (حَيَّهَل) ، وبفتحها فتحة قصيرة ، وبإشباع هذه الفتحة حتى تصير ألفا (أو فتحة طويلة) .

- " ومن ذلك قولهم : أنا ، فإذا وصل قال : أن أقول ذاك ، ولا يكون فى الوقف فـــى أنا إلا الألف " [٨٤] ، وهذا مبنى على لغة الحجازيين فى هذا الضمير ، فهم يثبـــتون (الألـــف) فى الوقف ، وفى الوصل للضرورة ويحذفونها وصلا فى غير الضـــرورة [٨٥] ، فـــالألف فى هذه اللغة إشباع لفتحة النون وقفاً ، وفي الضرورة وصلاً ، وهى – فى نظر القدماء – لبيان الحركة كهاء السكت ، وربما بنوا رأيهم هذا على التعاقب المسموع بين (الألف) والهاء فى لغات العرب ، إذ يقف بعضهم بالألف (أو الفتحة الطويلة) ، ويقف آخرون بالهاء فيقولون (أنَهْ) [٨٦] ، ولذا رأى بعـــض النحاة أن الهاء هي الأصل في الوقف لبيان الحركة ، و(الألف) نائبة عنها فيه.[٨٧] ورأى سيبويه أن " تبيين الحركة بالألف قليل إنما جاء فى أنا وحَيَّهَلا"[٨٨]، والقول بزيادة الألف لبيان حركة النون فى الوقف معتمد فيه على الخط أيضا، لأنه لا يتصـــور زيادة حركة هى (الألف) بعد حركة هى (الفتحة القصيرة) والأصوب فى الوصف أن يقال إن فتحة النون تشبع فى حالة الوقف على هذا الضمير .

الموضع الخامس : إشباع الفتحة كراهة توالى الأمثال :

أ- فى الفصل بين النونين ، نحو : اضْرِبْنانّ يا نسوة " وأصل هذا أن تدخل نون التوكـــيد وهى مشددة على نون جماعة المؤنث فتجتمع ثلاث نونات فكان يلزم أن يقال : اضْرِبْنَنَّ زيدا ، فكرهوا اجتماعهن ففصلوا بينهن"[٨٩].

ب- فى الفصل بين " الهمزتين المحققتين استكراها لاجتماعهما محققتين " نحو : قراءة بعضهم " آئذا " " آئنا " و " آ أنت قلت للناس " [٩٠] .

وقولهم – فى الموضعين – بزيادة الألف للفصل بين النونين أو الهمزتين قـــائم علـــى ملاحظة الخط أيضاً ، والأولى أن يقال إن فتحة الحرف الأول طالت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأشبعت ليتحقق بإشباعها الفصل بين الصوتين المتماثلين لما فى تواليهما من الثقل.

الموضع السادس : إشباع الفتحة فى الوقف على المفتوح لتذكر ما بعده ، نحو: "قالا ، أي قالَ زيد ونحوه ، فجعلوا الاستطالة بالألف دليلا على أن الكلام ناقص "[٩١]، قال سيبويه : ويقول الرجل إذا تذكر ولم يرد أن يقطع كلامه : قالا ، فيمد قالَ ، ويقولو ، فيمد: يقولُ ، ومن العامي فيمد العامِ ، سمعناهم يتكلمون به فى الكلام ويجعلونه علامة ما يتذكر به" [٩٢] ، وهذا كلام مستقيم.

الموضع السابع : إشباع الفتحة فى آخر المندوب ، نحو : واغلاماه ، وازيداه[٩٣].

"والمعنى الجامع بين التذكر والندبة قوة الحاجة إلى إطالة الصوت فى الموضعين"[٩٤] .

الموضع الثامن : إشباع الفتحة فى الضرورة .

جاء فى التدليل على أن " الألف فتحة مشبعة " ، قول ابن جنى : " ويؤكد ذلك عندك أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ الحرف فتشبع الفتحة فيتولد بعدها ألف .. وأنشد سيبويه :

فبينا نحن نرقبه أتانا معلق وفضة وزناد راعى

أراد (بينَ) " فأشبع الفتحة فحدثت بعدها ألف " وقال أبو ذؤيب :

بينا تعنقه الكماة وروغه يوما أتيح له جرئ سلفع

أراد : بينَ تعنقه " إلا أن هذه الألف وإن كانت إشباعاً للفتحة فإنها فى هذا الموضع زيادة لازمة " ، ونحوه :

وأنت من الغوائل حين ترمى ومن ذم الرجال بمنتزاح

" أراد : بمُنتزَح فأشبع فتحة الزاى " [٩٥] .

ونحوه : **ينباع من ذفرى غضوب جسرة زيافة مثل الفنيق المكدم**

" أراد : بينبَع فأشبع فتحة الباء "[٩٦] فأنشأ عنها ألفا [٩٧] .

ونحوه : **أقول إذا خرت على الكلكال يا ناقتا ما جلت من مجال** [٩٨]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ونحوه : **بيناه فى دار صدق قد أقام بها حينا يظلنا وما نظله** (٩٩)

وتجدر الإشارة – هنا – إلى أن جمهور القدماء يعتبرون (الألف) فى هذه المواضع ونحوها زائدة لكنهم – مع ذلك – يدركون أن زيادتها ناشئة عن إشباع الفتحة واستطالة زمن النطق بها ، وقد عبر عن ذلك ابن جنى فى مبدأ حديثه فى مواضع زيادة الألف بقوله "اعلم أن الألف قد زيدت فى أثناء الكلام على أنها ليست مصوغة فى تلك الكلم وإنما زيدت لمعان حدثت وأغراض أريدت وهى فى تقدير الانفكاك والانفصال ، فمن ذلك أن العرب قد أشبعت بها الفتحة .. " (١٠٠) ، وقال فى زيادتها فى الوقف للتذكر : " فجعلوا الاستطالة بالألف دليلاً على أن الكلام ناقص ... " (١١١) .

الموضع التاسع : إشباع الفتحة علامة لتأنيث الضمير (الهاء) فى نحو : رأيتها ومررت بها. ذلك لأن " الاسم هو الهاء وأما الألف فزيدت علما للتأنيث"(١٠٢) والمقصود بزيادة الألف – كما فسرناه آنفا – إشباع الفتحة وتطويلها ، لكنهم ينظرون للخط فيرون ألفا تكتب فيحكمون بزيادتها فى هذا الموضع ونحوه .

ب–تقصير الألف المعتادة أو إضعافها حتى تعود فتحة قصيرة

ويعبر كثير من القدماء عن هذا التقصير بحذف الألف اعتماداً فى وصفهم الظاهرة على الخط المكتوب ، فهم يرون صورة الألف هذه [ا] تختفى من الكتابة فيعدونها محذوفة وبعضهم يعبر عنه بالاجتزاء بالفتحة عن الألف ، أو إنابة الحركة عن الحرف (١٠٣) .

وذكر ابن جنى أنه فى المفتوح شاذ ، قليل النظير لخفة الألف ، وإنما حذفت فيما ورد تشبيها لها " بالواو والياء لما بينها وبينهما من الشبه" (١٠٤) ، وقال أبو حيان "الاجتزاء بالفتحة عن الألف أقل من الاجتزاء بالكسرة عن الياء والضمة عن الواو " (١٠٥) .

ومن أمثلة ما سمع من هذا التقصير :

- قراءة بعضهم " فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورُبَع"(١٠٦) .
- قولهم : أَمَ والله لأفعلن كذا ، يريد (أما) .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- قول الشاعر : مثل النقا لبده ضرب الطِّلّ .

يريد الطِّلال جمع (طَل) [١٠٧] .

- قـراءة بعضـهم : إذ قال يوسف لأبيه يا أبتَ " بفتح التاء " اجتزأ بالفتحة عن الألف" [١٠٨].

- فقصـرت الفتحة الطويلة فى [رُباع وأما والطِّلال وأبتا] فى القراءة والنثر والشعر ، فى حشو الكلمة وآخرها لغير وقف ولغير ضرورة .

ونظـروا فـى تقصير الفتحة الطويلة فى (ها) ضمير المؤنثة ، فرأى سـيبويه أن "لا تحـذف الألـف " فى هذا الضمير لأن ذلك يؤدى إلى اللبس بين المؤنث والمذكر [١٠٩] ، لكن هذا التقصير وارد مسموع على وجهين :

الأول : تقصـير هـذه الفتحة الطويلة فقط دون إجراء آخر ، ومنه قراءة بعضـهم : ونادى نوح ابنهَ " " أراد ابنها أى ابن امرأته لأنه قد جرى ذكرها فى قولـه سبحانه " وأهلك " فحذف الألف تخفيفا" [١١٠] ، وقال أبو حيان إن الاكتفاء بالفـتحة عـن الألف فى هذا الضمير لغة لبعض العرب وخرج عليه هذه القراءة وأجازه فى السعة [١١١] ، ومع ذلك عده من قبيح الضرائر [١١٢] .

ومنه قول الشاعر: **أعلقت بالذئب حبلا ثم قلت له الحق بأهلك واسلم أيها الذيب**

إما تقود به شاة فتأكلهـا أو أن تبيعهَ فى بعض الأراكيب

" يريد : تبيعها " فحذف الألف [١١٣] .

الـثانى : تقصـير الفتحة الطويلة فى (ها) ثم نقلها بعد التقصير إلى ما قبلها فتسكن الهاء فى الوقف ، قال السيوطى : " وأما ألف ضمير الغائبة فذكر ابن مـالك أنه قد يحذف منقولا فتحه اختياراً كقوله : " والكرامة ذات أكرمكم الله بَهْ " يريد : بِها ، فحذف الألف وسكن الهاء ونقل حركتها إلىَ الباء ولذلك فتحها . قال أبـو حيان : وظاهر كلامه قياس ذلك لأنه قال : اختيارا ، فعلى ما ذكر يجوز أن يقـف علـى : منها وعنها وفيها : مَنَهْ، وعَنَهْ ، وفَيَهْ[١١٤] ، وإنما روى منه فيما علمـناه هذا الحرف الواحد على جهة الندور لبعض العرب وينبغى فى إثبات ذلك إلى كثرة توجب القياس " [١١٥] ، وعزا أبو حيان هذا الإجراء إلى بعض طئ ومنع

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القـياس علـيه فى موضع [١١٦] ، وعزاه فى موضع آخر لأزد السراة وعده من الضرائر ، نحو .

فإنى قد سئمت بدار قومى أموراً كنت فى لخم أخافَهْ

أى أخافها ، ثم قال " وربما جعلوا ذلك فى سعة الكلام " [١١٧]

وربمـا فهم بعض المحدثين من قول الشاعر –هنا– : أمورا كنت فى لخم أخافَهْ ، أن هذه لغة لخم فعزاها إليهم فى موضع [١١٨] ، وعزاها فى موضع آخر إلى طئ[١١٩] .

ثانياً : إشباع الألف المعتادة وإضعاف الألف المشبعة :

أ- إشباع الألف المعتادة :

– وكما تشبع الفتحة القصيرة حتى تصير ألفا معتادة (أى ضعف الفتحة) تشـبع هـذه الألف – فى التركيب أو السياق – ويمد الصوت بها فتستغرق زمنا أطـول من زمن مدها الطبيعى بحيث تقع فى " أضعاف زمان الفتحة " على حد تعبير ابن سينا [١٢٠] .

ويؤنس فى تحديد مقدار هذه الأضعاف بأداء القراء وآراء علماء التجويد ، إذ يتراوح مقدار هذا المد عندهم بين ضعفى الألف ، أو مقدار "ألفين" [١٢١] ومقدار خمسـة ألفات ، " وبين ذلك مراتب من المد بحسب مذاهب القراء ، وبحسب نوع المـد ومكانه ، وبحسب أسلوب القراءة من الحَدْر والتحقيق " ولهم طرق اجتهادية تقديرية لا تحديدية فى قياس زمن هذا المد وضبط مقاديره[١٢٢] .

وهـذا الـنوع مـن المد – الزائد فوق المد الطبيعى أو الأصلى – يسميه بعـض المحدثين المد المكتسب[١٢٣] ، ويسميه بعض القدماء المد المتكلف[١٢٤]، أو العرضـى [١٢٥] ، أو الفـرعى ، ويقابلـه القصر وهو " ترك تلك الزيادة" [١٢٦] ، بحيث يبقى المد الطبيعى المعتاد على أصله دون زيادة .

ويقال إن " هذا النوع من الإطالة لا يراعى إلا فى القراءات القرآنية ، فلا يكـون فى الشعر العربى ، ويندر أن يقع فى النثر " [١٢٧] ، وإنما يتصور وقوعه فى الكلام المتأنق كالخطابة والمحاضرات ذات الموضوعات الرفيعة لإبراز بعض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعانى كالوعد والوعيد والإغلاظ والتعظيم والمبالغة والتدبر ، وغير ذلك مما لا يتأتى بدون الإشباع وتمكين الصوت كما سبق الإشارة إلى ذلك .

وقد عرض ابن جنى لهذا النوع من المد وسماه (المَطْل) وبين مواضعه أو أسبابه فقال بعنوان : " باب فى مطل الحروف " : - " والحروف الممطولة هى الحروف الثلاثة الليِّنة المصوتة ، وهى الألف والياء والواو... "[١٢٨] ، فهذه الأصوات الثلاثة بطبيعتها "فيها امتداد ولين ... إلا أن الأماكن التى يطول فيها صوتها وتتمكن مدتها ثلاثة ، وهى أن تقع بعدها - وهى سواكن توابع لما (هو منهن) وهو الحركات من جنسهن[١٢٩] - الهمزة أو الحرف المشدد ، أو أن يوقف عليها عند التذكر .. " [١٣٠] ، فهذه المواضع الثلاثة تزداد فيها الحركات الطويلة الثلاثة " طولا وامتدادا " [١٣١] فوق الطول أو المد الطبيعى فيها ، و (الألف) فى هذا المد الزائد أعرق وأرسخ وأصل من الواو والياء ، وهما " فى ذلك محمولان عليها وملحقان فى الحكم بها " [١٣٢] .

ويقتصر بعض المحدثين على موضعين لهذا النوع من المد ؛ قبل الهمزة والصوت المدغم [١٣٣] ، وبعض القدماء يجعل الموضعين قبل الهمزة والصوت الساكن " مظهرا أو مدغما " لا غير [١٤٤] .

ويمكن إيجاز القول فى هذه المواضع على النحو التالى :

الموضع الأول : إشباع الألف قبل الهمزة ، كما فى نحو رداء وكساء ويشاء .

وإنما تمكن مد الألف - هنا - لأن الهمزة " حرف نأى منشؤه ، وتراخى مخرجه "فإذا نطق بالألف المصوتة قبلها طالت وشاعت فى الصوت لتزداد الهمزة بيانا وتمكيناً[١٣٥].

الموضع الثانى : إشباع الألف قبل الصوت المدغم ، كما فى نحو : الضالّين ودابَّة وشابَّة .

والعلة فى المد الزائد - هنا - أن (الألف) ساكنة " وأول المثلين مع التشديد ساكن ، فيجفو عليهم أن يلتقى الساكنان حشوا فى كلامهم ، فحينئذ ما

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ينهضـــون بالألف بقوة الاعتماد عليها فيجعلون طولها ووفاء الصوت بها عوضاً مما كان يجب لالتقاء الساكنين من تحريكها .. " (١٣٦) .

فعلة المد الزائد فى الموضع الأول هى المساعدة على نطق الهمزة محققة مبيـــنة ممكـــنة ، وفى الثانى تمييز الساكنين أحدهما من الآخر حتى كأنهما لـــم يجتمعا (١٣٧).

ويبدو للدكتور إبراهيم أنيس أن السر فى هذه الإطالة هو " الحرص على صـــوت اللين وطوله لئلا يتأثر بمجاورة الهمزة أو الإدغام لأن الجمع بين صوت اللـيـــن والهمزة كالجمع بين متناقضين ، إذ الأول يستلزم أن يكون مجرى الهواء معه حراً طليقاً وأن تكون فتحة المزمار حين النطق به منبسطة منفرجة ، فى حين أن الـــنطق بالهمزة يستلزم انطباق فتحة المزمار انطباقاً محكماً يليه انفراجها فجأة ... فإطالـــة صـــوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة التى تحتاج إلى مجهود عضوى كبير وإلى عملية صوتية تباين كل المباينة الوضع الصوتى الذى تتطلبه أصوات اللين .

وهـــذا هو نفس السر فى إطالة صوت اللين حين يليه صوت مدغم ، لأن طبيعة اللغة العربية ونسجها تستلزم قصر أصوات اللين الطويلة حين يليها صوتان ساكنان ، فحرصا على صوت اللين وإبقاء على ما فيه من طول ، بولغ فى طوله لـــئلا تصيبه تلك الظاهرة التى شاعت فى اللهجات العربية قديمها وحديثها ، من ميل صوت اللين إلى القصر حين يليه صوتان ساكنان "(١٣٨).

ويبدو أنه لا مانع من الجمع بين هذه التعليلات ، إذ لا مانع من أن تكون علة المد الزائد قبل الهمزة هى بيان الحركة الطويلة وبيان الهمزة وتحقيقها أيضاً ، ويؤنـــسّ لذلك بما قاله صاحب الموضح إذ بين أن العلة فى مد الألف قبل الهمزة خفاؤها وخفتها مع ظهور الهمزة وثقلها ، فالمد يظهر الألف ويساعد على تحقيق الهمـــزة وبـــيانها وتمكين النطق بها (١٤٨) ، حتى ما بدا للدكتور إبراهيم أنيس فى تعليل هذا الموضع يؤيد هذا ، إذ ذكر أولا أن السر فى هذه الإطالة هو " الحرص

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

علـــى صـــوت اللين وطوله .. " ثم قال : " فإطالة صوت اللين مع الهمزة يعطى المتكلم فرصة ليتمكن من الاستعداد للنطق بالهمزة " .

ولا مـــانع كذلـــك أن تكون علة المد الزائد قبل المدغم هى بيان الحركة الطويلـــة وتميـــيز الساكنين أحدهما عن الآخر ، فالمد الزائد يبين الحركة الخفية بالمبالغة فى تطويلها، وهذا التطويل يفرق بين الساكنين لاستغراقه زمنا أطول من المـــد الطبيعى كما أن المتحرك يستغرق زمناً أطول من غير المتحرك ، فصارت زيـــادة المد معادلة للحركة من حيث الزمن تقريباً ، لأن الممدود "بزيادته وطوله كالمتحرك" (١٤٠) .

وذكـــر بعـــض المتأخريـــن أن المد لأجل الهمزة ، كما فى نحو السماء وزكـــرياء ، أطول من المد لأجل الساكنين ، كما فى نحو : الضالّين والظانّين ، لأن المـــد فـــى الثانى بدل من حركة ، والوجه التسوية بين المدين وعليه جمهور القراء (١٤١) .

وذكـــر بعـــض المحدثين أن القراء يطيلون ألف المد قبل الهمزة فى نحو (يشاءون)، وقبل المدغم فى نحو : (الضالّين) " بحيث تعادل فى زمن النطق بها صـــوت اليـــن الطويـــل مضافاً إليه صوت ساكن ، بل منهم من يطيلها فوق هذا القدر، وعلى هذا تكون كلمة "ضالين" مكونة من مقطعين هما: ضال+لين :

ونلحظ أن المقطع الأول مكون من أصوات تعادل :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن .

وهـــذا نوع من المقاطع نادر الوجود فى النثر العربى ، ولا وجود له فى الشعر ، لأنه هنا فى أول الكلمة ، وهذا النوع يكون عادة فى نهاية الكلمة .

أما فى كلمة " يشاءون " فنلحظ أنها فى القراءات يكون المقطع الثانى فيها وهو "شاء " مكونا مما يعادل :

صوت ساكن + صوت لين طويل + صوت ساكن .

وهـــذا هـــو مـــا يعادل المقطع الرابع الذى ألفناه عادة متطرفاً وفى حالة الوقف" (١٤٢).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

همز الألف : نبرها

والنحاة يغتفرون التقاء الساكنين حشوا فى الموضع الثانى من مواضع إشباع الألف [١٤٣] ، إلا أن بعض العرب لا يقنع فيه بالألف على طبيعتها المعتادة، ولا يكتفى بتطويلها ومدها زيادة على ما تقتضيه طبيعتها ، بل يبدل من " الألف همزة فيحملها الحركة ... فيقول : شأبّة ودأبّة " ، وهذا الهمز – أو النبر كما يجب أن يسمى هنا – " أمر يخص الألف دون أختيها[الواو والياء]..لكثرة ورودها ساكنة بعدها الحرف المدغم، "فهمزوها "تطرقاً إلى الحركة إليها ، إذ لم يجدوا إلى تحريكها هي سبيلا لا في هذا الموضع ولا فى غيره" [١٤٤] .

وهذا الوصف يعنى أن همز الألف ليس للفرار من التقاء الساكنين ، وإنما همزت الألف أولا وهى ساكنة ، ثم حركت (الهمزة) تخلصا من التقاء الساكنين ابتداء ، وكان تحريكها بالفتح لأنها تناسب الهمزة والألف ، أي البدل والمبدل منه لكونها جميعاً من مخرج واحد وهو الحلق ، على ما يراه بعض الصرفيين [١٤٥] ، ولذا تبقى هذه الألف المهموزة أو المنبورة على سكونها إذا لم يأت بعدها ساكن آخر كما فى قولهم : العأْلَم ، والخأْتَم وتأْبلت القِدْر ، [فى العالَم والخاتَم وتابلت]، ووصف هذا بأنه قليل جداً لا يقاس – لقلته – لا فى الكلام ولا فى الضرورة[١٤٦].

وقال ابن جنى إنه " شاذ غير مطرد فى القياس"[١٤٧] ، وفيه اجتلاب همز " لا أصل له " [١٤٨] ، ومع ذلك ذكر أن همز الألف الساكنة " إنما هو عن تطرق وصنعة ، وليس اعتباطاً هكذا من غير مُسكة ، وذلك أنه قد ثبت عندنا من عدة أوجه أن الحركة إذا جاورت الساكن فكثيرا ما تجريها العرب مجراها فيه فيصير لجواره إياها كأنه محرك بها " وقد جاءت الألف فى هذه الأمثلة – ونحوها– بعد فتحة فكأنها حركت بها و " إذا تحركت الألف انقلبت همزة"[١٤٩].

وبعضهم يرى أن " الألف " حركت أولاً بالفتح قبل المدغم لالتقاء الساكنين فهمزت لتحركها ومثلوا لذلك بقراءة بعضهم : " ولا الضأّلين " ، " ولا جأنّ " ، وبقول العرب : ابْيأضّ واذْهأمّ واشعألّ ، وعللوا هذا بأن " الألف حرف ضعيف واسع المخرج لا يتحمل الحركة ... فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحـــروف منه وهو الهمزة"[١٥٠] ومع أنه " قد كاد يتسع هذا عنهم"[١٥١]، فقد رأى بعض النحاة أنه " لم يكثر كثرة توجب القياس " عليه إلا فى ضرورة الشعر [١٥٢]، لكن أبا حيان يقول : " وعلى ما قاله أبو الفتح إنها لغة ينبغى أن ينقاس ذلك "[١٥٣] ونسبه –أي أبو حيان– إلى تميم وعكل [١٥٤] .

ويـــرى بعض المحدثين أنه لا وجود لالتقاء الساكنين فى نحو دابَّة وشابَّة والضالّين، وإنما توهم وجوده القدماء بسبب الخط العربى ، إذ " ظنوا الألف حرفا ســـاكناً وهو فى الواقع رمز للفتحة الطويلة ، وإنما نحن فى هذه الأمثلة ، أمام ما يســـمى بالمقطع الرابع ، من المقاطع الصوتية ... " وهو مقطع " ، لا يجوز فى العربية الفصحى إلا فى آخر الكلمة فى حالة الوقف عليها أو فى وسطها بشرط أن يكون المقطع التالى له مبتدئا بصامت يماثل الصامت الذى ختم هو به ... " وهذا المقطـــع خـــاص بالنثر ، ولا يجوز فى الشعر إلا فى حالة الوقف على القافية " ، وإذا كـــان الشـــعر العـــربى لا يقبل هذا النوع من المقاطع فإن الشاعر إذا أراد استخدام كلمة تحتوى على هذا المقطع الجائز فى النثر أقحم همزة فى الكلمة . أو بعبارة أخرى قسم المقطع إلى مقطعين" [١٥٥] ، وهذا يعنى أن الصيغ المهموزة من هذا القبيل قد استعملت أولاً فى الشعر لاضطرار الشعراء إليها -كما رأى القدماء – ثم دخلت اللغة العربية النثرية بعد ذلك .

هـــذا ، ولا فرق بين تطويل الألف وهمزها قبل المدغم لأنهما نوعان من النـــبر ، فقد " كانت العرب تنبر بأشكال مختلفة منها الهمز والمد " ، ووظيفة كل منهما تباينية وليست تمييزية ، بمعنى أن وجود الهمزة أو تطويل الألف فى كلمة لا يترتـــب علـــيه ظهور نسج صوتى جديد لها بمدلول مختلف عنها عندما تخلو منهما [١٥٦] .

الموضع الثالث : إشباع الألف فى الوقف للتذكر ، كما فى نحو قولهم : " الـــزيدان ذهـــبا ا ، إذا نووا (ذهبا أمس) أو نحوه ، مما يصحبه من الكلام ... فـــتزيد فـــى التذكر على الألف ألفا وتمده"[١٥٧]. وزيادة (الألف) رمز فى الخط لإشباع حركة الصوت وتطويلها.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب-إضعاف الألف المشبعة :

وذلك بتقصير زمن النطق بها حتى تعود إلى طبيعتها المعتادة ، وقد عبر ابن جـنى عن ذلك بقوله : " وكما زيدت الألف إشباعا فقد حذفت اختصارا ، من ذلك قصر الممدود نحو قوله : وتَبَوّا بمكةٍ بطحاها

أى " بطحاءها " (١٥٨) .

وينبغـي أن يعـتقد – هنا – أن حذف الألف اختصارا يعنى إزالة مدها الفرعى والعودة بها إلى مدها الطبيعى المعتاد ، وهذا مفهوم من قوله : "...قصر الممدود " ومن تمثيله بكلمة (بطحاء) الممدودة التى صارت بالقصر (بطحا) ، ثـم إن الممدود تأتى ألفه قبل همزة ، وهذا موضع تُمْطَلُ فيه وتمد مدا زائدا على مدهـا الطبـيعى ، وحذفها يعنى قصرها بإزالة هذا المد الزائد والعودة إلى مدها الأصـلى الذى تكون فيه ضعف الفتحة القصيرة ، ومعلوم أن الفرق بين الممدود والمقصور يكمن " فى كمية الصائت الطويل " الواقع فى آخر كل منهما ، فآخر " المقصور صائت طويل مفتوح " وتزداد كمية هذا الصائت فى الممدود حتى تنطق الهمزة فى آخره ، وهذا واضح من تعريفهما (١٥٩) .

واخـتلاف الـنحاة فـى جـواز مـد المقصور وقصر الممدود إلى حد الاضطراب فى اختيار بعضهم معروف متداول فى كتبهم (١٦٠) .

ومما يمثل هذا الاضطراب موقف أبي حيان من هذه المسألة ، فقد ذكر أن " قصـر الممـدود إنمـا يكون في الشعر " (١٦١) ، لكنه أجازه " قليلا فى الكلام " لثبوته قراءة (١٦٢) ، ولغة (١٦٣) ، وهذا هو الوجه لأنه لا اضطرار فيهما .

والأولـى إجـازة قصـر الممـدود ومـد المقصور – دون اختصاص بالضـرورة(١٦٤) – قياسا عٌلى المسموع لغة والمروى قراءة ممثلا لهذا المسموع، فـالممدود فـى لغة بعض العرب مقصور فى لغة آخرين ، ولذا قيل إن الروايات مـتفقة " على أن الممدود من لهجات الحجاز حيث يذهب بنو تميم وقيس وربيعة وأسد إلى القصر (١٦٥) وذلك يناسب كلا البيئتين..." ، فالقبائل الحجازية متحضرة تتأنى فى كلامها وتحقق الأصوات فتستوفي كمية الصائت الطويل حتى تصل إلى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الهمـــزة ، وهذا هو المد ، والقبائل البادية تسرع فى كلامها مما يؤدي إلى حذف بعضـــه [١٦٦] ، كحـــذف همزة الممدود فتقصر ألفه ، أى تعود إلى مدها الطبيعى الأصلى بعد إزالة مدها الزائد الفرعى .

نخلص من هذا العرض إلى تصور العلاقة بين الفتحة القصيرة وألف المد من حيث الزمن الذى يستغرقه نطق كل منهما ، وهى على النحو التالى :

أ- ألـــف المد – فى حالتها الطبيعية المعتادة – تقع فى زمن يعادل ضعف زمن الفتحة القصيرة .

ب- وقـــد تشبع هذه الألف ويمد الصوت بها فتقع فى زمن يعادل أكثر من ضعف زمـــن الفتحة ، قد يصل إلى خمسة أمثال هذا الزمن فى قراءة بعض القراء وذلك فـــى موضـــعين : قـــبل الهمزة ، وقبل المدغم ، أو الساكن مطلقا ، مدغما وغير مدغـــم، ويزيد بعض اللغويين موضعا ثالثا وهو عند الوقف على الألف لتذكر ما بعدها .

جـــ- وقد تقصر الألف الممدودة أو المشبعة فتعود إلى حالتها الطبيعية المعتادة ، كما فى قصر الممدود .

د- وقد تقصر ألف الطبيعة المعتادة فتعود فتحة قصيرة .

وقد بين البحث المواضع التى تحتمل بعض هذا وذاك .

أطوار ألف المد :

يـــرى بعـــض المحدثين أن ما يسمى : صوت اللين المركب " قد مر فى اللغـــة العربـــية فى أدوار ثلاثة " احتفظت بعض القبائل العربية القديمة فى لغاتها ببعض هذه الأدوار ووقفت عنده ولم يتطور فيها ، وهى على النحو التالي :

أ- فقـــد كان هذا الصوت مركبا من واو ساكنة بعد فتح أو ياء ساكنة بعد فتح ، كما فى نحو : بَيْنَ وكَوْنَ ورَمَيْ وسَمَوْ ، ومما يمثل هذا الطور :

- استعمال المثنى بالياء الساكنة بعد فتح ، ويظهر أن هذا هو الأصل فيه .
- نحو : عَصَيْ ، فى لغة هذيل بدلاً من عصاى .
- نحو : هُدَيْ ، وقفا فى لغة فزارة وبعض قيس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- نحو : هُدَوْ ، وقفا فى لغة بعض بنى تميم

ب- ثـم تحول هذا الصوت المركب إلى حركة طويلة ممالة ، كسرة أو ضمة ، كما فى نحو:

بِي ـ نَ ، وكُو ـ نَ ورَمِي ـ وسَمُو ـ ، ومما يمثل هذه المرحلة :

- المثنى فى حالة الإمالة التى لا تزال شائعة فى معظم اللهجات العربية الحديثة ، وإمالة نحو: هُدِى ـ .

ج- وفـى طـور تحول إلى ألف اللين الخالصة ، كما نعدها الآن فى نحو : بانَ وكانَ ورمَى وسَما وهُدَى . وهذا الطور هو أحدث الأطوار وأفصحها لشيوعه فى لغات القبائل المشهورة وفى اللغة الأدبية النموذجية ، ومما يمثله :

- إلزام المثنى الألف فى بعض لغات العرب .
- قول بعضهم : إلاك وعلاها فى قول غيرهم : إلَيْك وعلَيْها[١٦٧] .

ومـن المحدثيـن من يزيد قبل هذه المراحل الثلاثة مرحلة كان فيها الصوت المركب على نمط الصحيح أى أن الواو والياء كانتا متحركتين- لا ساكنتين - بعد فـتحة على مثال : قَوَلَ وبَيَعَ وخَوِفَ وقَضَيَ وهُدَيٌ وعَصَوٌ ، ثم ضاعت الحركة بعد الواو والياء فسكنتا تخفيفا ، ويسمى المرحلة الثالثة (عنده) مرحلة " انكماش الأصوات المركبة " وتحولها إلى حركة طويلة ممالة ضمة أو كسرة . ويسمي مـا تـبقى مـن هذه المراحل " فى العربية الفصحى واللغات السامية واللهجات المخـتلفة "الـركام اللغوى" ويقصد به " بقايا الظواهر اللغوية المندثرة "[١٦٨] التي يتصور أنها تعين على معرفة الأصل.

ومن المحدثين من يرى أن التطور إلى مرحلة الحركة الطويلة الممالة لم ينشأ عن تطور حركة واحدة مركبة من الفتحة والواو أو الياء الساكنتين ، ولا عن تطـور الواو والياء الساكنتين وحدهما ، وإنما عن مجموع صوتين مختلفين نطقا ووظـيفة ، الأول حركة هى الفتحة ، والثانى صوت صامت هو الواو الساكنة أو الياء الساكنة ، ولا ينطبق على هذين الصوتين الصفات النطقية للحركات المركبة، لـذا فتقدير الواو أو الياء الساكنة جزءا من حركة مركبة جزؤها الآخر هو الفتحة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السابقة عليهما " تقدير غير صحيح " وهو " خطأ مشهور وقع فيه المستشرقون منذ زمن طويل وتابعهم فيه كثير من اللغويين المحدثين وبخاصة أولئك الذين يعملون فـــى حقـــل الدراســـات الســـامية وليست لهم الخبرة الكافية بالدراسات الصوتية الحـــديثة"(١٦٩).

والمفهـــوم - علـــى كل حال - أن هذه الأدوار أو الأطوار ليست متعاقبة زمنـــيا بشكل صارم بحيث يقضى اللاحق على ما سبقه ، وليس الانتقال من واحد مـــنها إلى ما يليه فى العرض السابق حتميا ، وإنما هى صور نطقية مسموعة ، تعاصرت وتعايشت فى لغات -أو لهجات - مختلفة ، بل إن لكل منها امتداداً يمثله فى اللهجات العربية المعاصرة ، ولهذا فإن ما يمثل هذه الأدوار - أو بعضه على الأقـــل - يستحق وقفة للنظر والدراسة والتعريف به وخاصة بأنه فسر فى ضوء تطور (الألف)فى اللغة العربية ، ويمكن عرض ذلك على النحو التالى :

أ- ألف المثنى :

وهـــى كذلـــك ألف الطبيعة المعتادة : التى تعادل ضعف الفتحة القصيرة نتيجة لإشباعها، وهو ما يعبر عنه القدماء بزيادة الألف ، قال ابن جنى " اعلم أن هذه الألف قد زيدت فى الاسم المثنى علما للتثنية ... واختلف الناس من الفريقين فـــى هذه الألف ما هى من الكلمة" ، فرأى سيبويه أنها فى الرفع حرف الإعراب ولا تقدير للإعراب فيها ،أي لا تقدر فيها علامات الإعراب الأصلية ، وكذلك الياء فـــى حالتى النصب والجر (١٧٠) ، وقيل (الألف) والياء دليل الإعراب ، فوجود الألف فى المثنى دليل على أنه فى حالة رفع ، ووجود الياء دليل على أنه فى حالة نصب أو جر ، وقيل (الألف) حرف إعراب وانقلابها هو الإعراب ، وقيل الألف والياء هما الإعراب (١٧١)

ويبدو أن اختلاف الناس هذا من قبيل اختلافاتهم اللفظية التى لا طائل فى عرضـــها مفصلة مع أدلتها ومناقشتها والترجيح بينها ، وقد كفانا ابن جنى مؤونة ذلك (١٧١).

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبصرف النظر عن هذا الاختلاف فالمسموع المأثور عن العرب فى المثنى لغتان أو طريقتان[١٧٢] :

الأولى : وهى المشهورة المأثورة عن جمهورهم – أنهم يستعملون المثنى بالألف فى الرفع وبالياء فى النصب والجر .

الثانية : أن بعضهم كان يدع الألف ثابتة فى أحوال المثنى كلها رفعا ونصباً وجرا إجراء للباب على أصل قياسه ، ولا يخافون اللبس بين هذه الأحوال، ونقل الأئمة هذه اللغة عن كثير من العرب منهم بنو الحارث بن كعب ، وبطن من ربيعه [١٧٣] ، وبنو العنبر وكنانة وبنو الهجيم وبكر بن وائل وزبيد وخثعم وهمدان وفزارة وعذرة [١٧٤] ، ونقلوا لها من الشعر والقراءات القرآنية شواهد كثيرة منها.

– قول الشاعر : **تزود منا بين أذناه طعنة دعته إلى هابى التراب عقيم**[١٧٥]

- قراءة بعضهم : " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنان " [١٧٦]
- قراءة بعضهم " فجعل منه الزوجان .." [١٧٧]

وإذا كان الأمر كذلك فإن إنكار بعض النحاة " ما نقله الأئمة عن هؤلاء القبائل مكابرة لا تليق بعالم " [١٧٨]

ويرى بعض النحاة أن العرب قديماً كانوا يقولون " مررت بأخويك وأخواك جميعاً" أي يستعملون المثني بالياء والألف دون التفرقة بين أحواله الإعرابية بأي منهما ، إلا أن الياء كانت أقيس للفرق فكثر استعمالها وأقام الآخرون على الألف .." وربما كان الأصل استعمال الياء فى النصب والجر ثم قلبت ألفا – فى لغة بعض العرب – لانفتاح ما قبلها ، لأن الألف أسهل وأخف ، وهذا هو أصل القياس فى لغة هؤلاء . [١٧٩]

وعلى رأى بعض النحاة هذا – فيما يبدو – أقام الدكتور إبراهيم أنيس رأيه فى وضع النحاة قاعدتهم فى إعراب المثنى بالحروف ، فقد ذكر أن النحاة لما وجدوا للمثنى فى لغات العرب صيغتين اتخذوا إحداهما – وهى التى بالألف – للرفع واتخذوا الأخرى التى بالياء لغيره ، ورجح أن تكون الأخيرة هى الصيغة الأصلية للمثنى ، ويظهر له أنها كانت الصيغة الشائعة فى اللغة السامية الأولى ،

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثـم أصابها تطور صوتى فى فروع تلك اللغة ، وذلك لأنها مشتملة على " صوت الليـن المركـب " الذى يقبل التطور " فى كثير من ظواهر اللغات السامية ، وقد تخلصـت مـنه الفروع السامية بطرق شتى " منها أنه تحول فى بعض اللهجات السامية فى المثنى " إلى صوت لين خالص (حرف مد) لا هو بالفتح ولا بالكسر وإنما يشبه ما نسميه بإمالة ألف المد . وقد بقى أثر هذا فى معظم اللهجات العربية الحديـثة ...، " وتطور صوت اللين المركب فى بعض اللهجات العربية القديمة " إلى ألف مد وصار على الصورة التى اتخذها النحاة للرفع ... وقد التزمت بعض القـبائل هذه الصورة كما يعترف النحاة فى كل المواضع كقبيلة بنى الحارث بن كعب ، بل لقد كاد النحاة يبيحون استعمال هذه الصورة فى كل الأحوال لأنها كانت أيضـا شـائعة فى قبائل أخرى لعل من بينها قريشا ، ولا شك أن القبيلة الواحدة كانت تلتزم صيغة واحدة من صيغتى المثنى وأن النحاة حين هموا بوضع قواعدهم ووجـدوا الصيغتين موزعتين بين القبائل خصوا الصيغة التى بالألف لحالة الرفع والصيغة الأخرى لحالتى النصب والجر " (١٨٠)

وعلى هذا فأحوال المثنى فى اللغة النموذجية متخذة من لهجات مختلفة(١٨١) .

وهـذا التصور فى علامة إعراب المثنى ليس بالأمر الذى يسهل قبوله ، فقد سيق باعتباره عنصراً من عناصر نظرية فى تفسير نشأة الإعراب فى العربية الفصـحى وإثـبات أن النحاة ابتكروا بعض ظواهره وقاسوا بعض أصوله لإقامة قواعـد مطردة فيه (١٨٢) وهى نظرية " لم تلق قبولاً لدى أى باحث من الباحثين " وقـد ردهـا كثـير من اللغويين العرب والمستشرقين الذين " دافعوا عن أصالة الإعراب فى العربية " (١٨٣)

وإذا كـان الـنحاة قـد كادوا يجيزون استعمال المثنى بالألف فى أحواله الإعرابـية كلها لوروده عن كثير من القبائل العربية القديمة التى يعتد بلغاتها فى إقامة القواعد وخرجوا كثيرا من النصوص المأثورة شعرا ونثراً وقراءة على تلك اللغـة فإن إدراك المعنى عندئذ لا يتوقف على علامة الإعراب وحدها لأنها " بمفردها لا تعين على تحديد المعنى " وليس لها – وحدها – أهمية خاصة فى فهمه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا تضـــافرت قرائـــن لفظية ومعنوية أخرى تساعد على ذلك ، ولذا كان العرب يترخصـــون فيطرحون هذه العلامة ولا يعتدون بها إذا وجدت تلك القرائن المعينة على وضوح المعنى وإدراكه دون لبس [١٨٤].

أ- ألف المقصور المضاف إلى ياء المتكلم

أ- المشـــهور فى السماع أن تبقى هذه الألف دون تغيير فى هذه الحالة [١٨٥] وهذا يمـــثل المـــرحلة الأخيرة من مراحل تطور صوت اللين المركب على ما تصوره بعض المحدثين ومر بيانه .

ب- ولكن ناسا " من العرب يقولون : بُشْرَىَّ ، لأن الألف خفية والياء خفية فكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان [١٨٦] والخفة [١٨٧] فقلبوا ألف المقصور ياء وأدغموها في ياء المتكلم وذلك لأنه موضع يكسر فيه الصحيح قبل الياء "فلما لم يتمكنوا من كســـر الألف قلبوها ياء " وهى " لغة فاشية فى هذيل وغيرهم " [١٨٨] وشواهدها ونظائرها كثيرة جدا منها قول المنخل اليشكرى :

يطوف بـــى عِكَبٌّ فى مَعَدٍّ ... ويطعن بالصُّمُلَّة فى قَفَيّا

فإن لم تثأرا لى من عكب ... فـــلا أرويتما أبدا صَدَيَـــا

- ومنها قراءة النبى – صلى الله عليه وسلم – " فمن اتبع هُدَىَّ .." و" يا بُشْرَىَّ هذا غلام "

- وحكى عن بعض بنى سُلَيْم " آتيك بموليَّ فإنه أروى منى " [١٩٠]

- وروى عن طلحة – رضى الله عنه – " فوضعوا اللُّج على قَفَيَّ " [١٩١]

ومـــن المحدثين من لا يقر وصف القدماء لهذه الظاهرة ويرى أن هؤلاء عـــندما يقولون (عَصَىَّ) بدلا من (عصاى) التي يقولها غيرهم فالأمر لا يعدو أنهـــم التزموا " الطور الأول [الثانى عند بعضهم][١٩٢] لصوت اللين المركب ولم يتطور فى لغتهم [١٩٣].

واذا صـــح ما نبه عليه أبو حيان من أن ذلك لا يتحتم فى لغة هذيل " بل يجـــيزون القلـــب والإقرار الذى عليه أكثر العرب " [١٩٤] – أي إبقاء الألف على حالهـــا – فـــإن هذا يعنى أنهم لم يلتزموا الطور الأول [أو الثانى] لصوت اللين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المركب بل تطور فى لغتهم -أو فى لغة بعضهم على الأقل - إلى ألف المد الخالصة ، كما تطور عند سائر العرب ، ويعنى أيضاً صحة وصف القدماء للظاهرة فى هذا الجانب ، ويعنى كذلك أن مراحل التطور تلك تعاصرت وتعايشت ولم يقض اللاحق منها على ما سبقه .

ج- الوقف على الألف المتطرفة :

تتلخص اتجاهات اللغات العربية القديمة فى الوقف على ما آخره ألف فيما يلى:-

أ- الأكثر والأعرف أن تبقى الألف على حالها فى الوقف كما كانت فى الوصل.

ب- ولغة فزارة وناس من قيس أن يقفوا بالياء الساكنة بعد الفتح ، يقولون : هذه أَفْعَيْ وهذه حُبْلَيْ وهذا مُثَنَّيْ ، فهي عامة فى كل ألف فى آخر الاسم ، ووصفت بأنها قليلة .

ج- ولغة طئ أن يدعوا هذه الياء الساكنة فى الوصل على حالها فى الوقف لأن الألف خفية والغرض البيان .

د- وبعض طئ يقفون بالواو الساكنة بعد الفتح فيقولون : أَفْعَوْ ، لأن الواو أبين من الياء وهى تشبه الألف فى المد وسعة المخرج[١٩٥] .

وفى هذه الأوجه الثلاثة وقف بما يسمى صوت اللين المركب .

هـ- وبعضهم يهمز الألف فيقولون : رأيت رجلأ وهذه حبلأ " وتقديرهما رجلع وحبلع (كذا) فهمز لقرب الألف من الهمزة " وهذا أخف عليهم ، ويقولون : هو يضربهأ . فيهمزون كل ألف فى الوقف للخفة والوضوح السمعى[١٩٦] .

ومما يلحظ على تنوع طرق الوقف على الألف المتطرفة ، وعلى النظر فيها ما يلى:

أ- علل القدماء ذلك بأن الألف خفية فأرادوا بيانها فوقفوا بالهمز ، أو بالياء الساكنة فتحة ، أو بالواو الساكنة بعد فتح وهى " أبين من الياء والقصد البيان"[١٩٧] والخفة ، كما مر ، ومن هذا التنوع - فيما يبدو - ظهر لبعض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المحدثيـــن " أن الوقف على أصوات اللين المتطرفة كان عسيراً على اللسان العـــربى قليل الشيوع فى معظم اللهجات العربية " ، " فإذا أضيف إلى هذا ما نعـــرفه من وقوف معظم القبائل على ما آخره صوت لين بهاء السكت أدركنا بســـهولة كـــيف فرت معظم اللهجات العربية من الوقوف على أصوات اللين طويلها وقصيرها"(١٩٨)

ب- يـــرى القدمـــاء أن الهمز فى نحو (رأيت رجلاً) فى الوقف بدل من الألف المـــبدلة مـــن التنويـــن فى الوقف على المنصوب ، والرأى أنه نوع من نبر صـــوت اللين القصير (الفتحة) فى الوقف ، كما أنه نبر لصوت اللين الطويل فـــى (حـــبلأ ويضـــربهأ) ونحوهمـــا . والغرض منه البيان وزيادة الوضوح السمعى، وهو الغرض من هذه الإبدالات فى رأيهم .

جـــ- وإذا صح هذا فإن قول سيبويه فى رجلأ وحبلأ : "وتقديرهما رجلع وحبلع ..." – إن لـــم يكـــن ســـهوا – يحتمل أن يكون وجها سمعه فى الوقف على الفـــتحة (القصيرة والطويلة) بالعين بدل الوقف بالهمز – أو النبر – لزيادة البـــيان والوضـــوح فى السمع ، ويؤنس لهذا بقول الدكتور إبراهيم أنيس إن البدو إذا أرادوا المبالغة فى تحقيق الهمزة لتكون أوضح فى السمع يجهرونها أو يســـتبدلون بها أحد " الأصوات الحلقية القريبة منها صفة ومخرجا " وهو العين ، ويعد هذا أقصى مراحل تحقيق الهمزة"(١٩٩).

هـــ- ألف (إلى وعلى ولدى) إذا اتصل بها ضمير

المسموع فى هذه الألف لغتان عن العرب :

الأولـــى : قلـــبها يـــاء – وهو الأكثر والأشهر إذا اتصل بهذه الألفاظ ياء المـــتكلم وكانت (إلى وعلى) اسمين ، نحو : لديَّ وعليَّ الشئ وإليَّ (٢٠٠) ، وحكّاه ابن هشام عاما مع كل ضمير دون قيد الاسمية فى اللفظين ، وذكر أنه محل اتفاق " الجميع " (٢٠١) ويحتمل أن يكون المقصود بالجميع هم النحاة ، ويحتمل أن يكون المقصود به جميع العرب ، لأنه أورد هذه الحكاية فى سياق حكايته لغة هذيل التى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تقلب ألف المقصور ياء وتدغمها فى ياء المتكلم – كما قالوا – ويؤيد هذا الاحتمال قول الزمخشرى: " وقالوا جميعاً لديَّ ولديْه ، كما قالوا عليَّ وعليْه وعليْك..."[٢٠٢]

الثانـــية : أن بعـــض العرب يبقى الألف فى هذه الكلمات و" يقول : لداى وعـــلاى " نقلـــه أبو حيان معترضا به على من ينفى ذلك [٢٠٣] ، ونقل أن " بنى الحـــرث بن كعب السلام (كذا) علاك" [٢٠٤] ، وعزيت هذه اللغة إلى بطون من ربـــيعة وبكر بن وائل وهمدان[٢٠٥] ، وهم ممن يلزمون المثنى الألف فى أحواله كلهـــا ، كمـــا مـــر، وهذا يعنى اطراد الظاهرة فى لغة هؤلاء بحيث تكون الياء الساكنة المفتوح ما قبلها فى لغة غيرهم ألفا فى لغتهم فى المثنى وغيره.

ويلاحظ – هنا – أن الوجه الشهير الكثير ليس ألف المد الخالصة ، وإنما الـــياء الســـاكنة بعد فتحة حتى إنه – لشهرته وكثرته – محكى عن " الجميع " أو عنهم " جميعاً " وهذا عكس ما يتصوره بعض المحدثين فى حركة تطور ما يسمى صوت اللين المركب، وسبقت الإشارة إليه .

ثانياً : ألف الإمالة وألف التفخيم :

وهما فرعان عن ألف الطبيعة المعتادة [٢٠٦] ولكل منهما لفظ فى المشافهة والســـمع، ولا صـــورة لإحداهما فى الكتابة والخط [٢٠٧] ولذا يعدهما بعض النحاة فرعيـــن عن الألف المنتصبة [٢٠٨] مراعياً صورتها فى الكتابة هذه [ا] ، بخلاف الألـــف الصـــغيرة المنـــبطحة فوق صورة الصوت الصامت ، فإنها رمز للفتحة القصيرة هكذا [–] .

والألـــف الممالـــة والمفخمة من الأصوات الفرعية التى حكم القدماء بأنها جيدة " يؤخذ بها وتستحسن فى قراءة القرآن والأشعار " [٢٠٩] وفصيح الكلام [٢١٠].

والإمالـــة عـــادة كلامـــية أو طريقة خاصة بنطق الفتحة بنوعيها القصير والطويـــل ،فلا فرق " بين أن تمال الفتحة أو تمال ألف المد لأن العملية العضوية فـــى الحالتيـــن واحدة"[٢١١] ولذا قيل فى وصف الإمالة أو تعريفها هى " أن تنحو بالفـــتحة نحـــو الكســـرة فتميل الألف التى بعدها نحو الياء لضرب من تجانس

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الصوت ..." [٢١٢] ،أو المشاكلة،[٢١٣] أو التقارب أو المضارعة بين الصوتين [٢١٤] أو التناسب بينهما [٢١٥] .

وإذا كان هذا الانتحاء كثيرا سميت الإمالة محضة أو كبرى ، وقد يقال لها الإضجاع أو البطح ، وإذا كان قليلاً فهو الإمالة الصغرى ، ويقال له بين اللفظين، أو التقليل أو بين بين[٢١٦] ، وربما سميت الأولى بالكسر وهى الإمالة الشديدة ، والثانية بالتلطف وهى الإمالة المتوسطة [٢١٧] وقد تسمى الإمالة بالإجناح [٢١٨] وقد تسمى بالترخيم، لما فيها من تليين الصوت [٢١٩] .

ويطلق فى مقابل الإمالة مصطلح الفتح [ويقال له التفخيم أو النصب] وهو عبارة عن فتح الفم بلفظ الحرف لا فتح الحرف ، إذ الألف لا تقبل الحركة"[٢٢٠] ، أى ليس المقصود بفتح الألف ضبطها بحركة الفتحة القصيرة لأن الألف حركة فلا تقبل الحركة ، وإنما المقصود فتح الفم عند النطق بالألف بحيث يمر الهواء حرا طليقا دون ضغط أو حصر. فالفتح – إذاً – طريقة أو عادة كلامية فى نطق الألف على طبيعتها المعتادة – التى مر بيانها ووصفها – دون إمالة أو تفخيم أو نحو ذلك ولا فرق بين إمالة الألف وفتحها إلا فى وضع اللسان حال النطق بكل منهما إذ يكون فى حالة " الإمالة أقرب إلى الحنك الأعلى منه فى حالة الفتح " التى يكاد يكون فيها "مستويا فى قاع الفم فإذا أخذ فى الصعود نحو الحنك الأعلى بدأ حينئذ ذلك الوضع الذى يسمى الإمالة"[٢٢١]

وينسب الفتح بصفة عامة إلى القبائل التى سكنت غربى الجزيرة كالقبائل الحجازية " أمثال قريش والأنصار وثقيف وهوازن وسعد بن بكر وكنانة " كما تنسب الإمالة – من النوع السابق – إلى القبائل التى عاشت " فى وسط الجزيرة وشرقيها ، وأشهرها تميم وأسد وطئ وبكر بن وائل وعبد القيس وتغلب " [٢٢٢] ، وأكثر أهل اليمن يميلون ألف(حتى)[٢٢٣] ، وبعض الحجازيين يميلون فى مواضع قليلة [٢٢٤] ، قال الدكتور عبده الراجحى " ووجود الإمالة فى اليمن وعند الحجازيين فى مواضع قليلة يجعلنا نقرر أن الإمالة كانت معروفة منتشرة فى شبه الجزيرة كلها ، وهى ظاهرة أخرى تنضاف إلى غيرها لتوكيد أن اللغة العربية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المشـــتركة لم تقم على لهجة قريش وحدها " [٢٢٥] وقال الدانى إن " الإمالة والفتح لغـــتان مشـــهورتان فاشـــيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغاتهم" لكنه أردف قائلاً " فالفتح لغة أهل الحجاز والإمالة لغة عامة أهل نجد من تميم وأسد وقيس"[٢٢٦]

هـــذا ، وبـــاب الإمالة واسع تعرض فيه آراء النحاة فى أسبابها وأنواعها ومواضعها وموانعها وأيهما الأصل : الفتح أم الإمالة : وكثير من هذا مبنى على المســـموع مـــن كلام العرب الذين يعتد بلغاتهم فى تقعيد القواعد ، لكن ليس لهذا المبحـــث حاجة فى بسط هذا كله فإنه يخرجه عن طبيعته الموجزة ، فليراجعه من لـــه به حاجة فى مظانه [٢٢٧] . وحسب هذا المبحث ما عرضه من وصف الألف فى حالتيها : الفتح ، حيث تكون على طبيعتها المعتادة، والإمالة ، حيث ينتحى بها نحو الياء .

ألف التفخيم ، أو تفخيم الألف :

يستنبط من مطالعة المراجع التى عالجت (تفخيم الألف) أنه على نوعين:

الأول : يمكن تسميته : التفخيم السياقى المكتسب .

الثانى : يمكن تسميته التفخيم الذاتى الأصلى .

أمـــا التفخـــيم السياقى المكتسب فهو المفهوم من اتجاه من يرى أن الألف بذاتها لا توصف بتفخيم ولا ترقيق ، وإنما تتأثر فى هذا وذاك بالسياق أو التركيب الـــذى تـــرد فيه بحيث تكون تابعة لما يسبقها أو يليها من أصوات ، فهو ظاهرة ســـياقية مكتســـبة وليســـت ذاتية فى الألف ، لذا فإنها تفخم فى نحو (صاد) تأثراً بالصـــاد المفخمـــة قـــبلها ، وترقق فى نحو (ساد) تأثرا بالسين المرققة قبلها ، وتكـــون بين الدرجتين فى نحو (قاد) لسبقها بصوت بين المفخم والمرقق ، وهو القاف . وكذلك تفخم الألف فى نحو (فاض وباض) تبعا للمفخم الذى يليها وهو الضاد [٢٢٨] .

وأمـــا التفخـــيم الذاتى الأصلى فإنه التفخيم الشديد المبالغ فيه ، وهو عادة كلامـــية أصـــيلة فى أصحابها ، ويعد نوعا من الإمالة حيث تمال فيه الألف نحو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الـواو أو تمال الفتحة بنوعيها نحو الضمة بنوعيها ، القصير والطويل فينتج عن ذلك صوت لين بين الصوتين ، أى بين الفتحة والضمة، أو بين الألف والواو[٢٢٩].

وبعضـهم يسـميه الضـم للانتحاء بالألف نحو الواو ، ويطلقه فى مقابل الكسـر (أى الإمالة) التى ينتحى فيها بالألف نحو الياء ، وقد يسمى ألف التفخيم فـى مقابل ألف الإمالة ، قال أبو حيان تعليقا على قراءة بعضهم " كهيعص" بضم الكاف والهاء والياء : "وهذه الثلاث مترجم عنها بالضم وليست مضمومات المحال فـى الحقيقة ، لأنهن لو كن كذلك لوجب قلب ما بعدهن من الألفات واوات ، بل نحيـت هذه الألفات نحو الواو على لغة أهل الحجاز وهى التى تسمى ألف التفخيم بضـد الألف الممالة فأشبهت الفتحات التى تولدت منهن الضمات ، وهذه الترجمة كمـا تـرجموا عن الفتحة الممالة المقربة من الكسرة بكسرة لتقريب الألف من الياء"[٢٣٠] .

وعـد بعضهم هذا التفخيم نوعا من الفتح الشديد ، وذلك للمبالغة فى فتح الفـم حـال النطق بالألف ويقال إنه " ليس من لغة العرب وإنما هو من لغة عجم الفـرس وأهـل خراسان خاصة" ، [٢٣١] ومن قرب منهم لأن طباعهم فى العجمة جـرت علـيه واسـتعملوه [٢٣٢] كذلك فى اللغة العربية ، وهو فى القراءة مكروه معيـب ، " والقـراء يعدلـون عنه ولا يستعملونه"وهو مع كونه لغة إلا أنها " لا تستعمل فى القرآن لأنه لا إمام لها " [٢٣٣]

ويقال إن هذا النوع من الإمالة أقل شيوعاً وانتشارا بين القبائل المشهورة مـن النوع الأول ولذا " فقد ظلت مهلة يشار إليها أحياناً فى بعض المطولات من كتـب اللغـة على أنها لهجة لبعض القبائل دون نسبتها إلى قبيلة خاصة فقد أشار إليها ابن جنى فى كتابه سر صناعة الإعراب[٢٣٤] وعلل بها كتابة الصلاة والزكاة وأمثالهما فى الخط العثمانى بالواو" [٢٣٥].

والواقع أن هذا النوع من الإمالة [التفخيم الشديد المبالغ فيه] قد نسب إلى أهـل الحجـاز [٢٣٦] على أنه لغتهم التى كتبوا بها أمثال هذه الكلمات بالواو [٢٣٧]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقيل هى لغة الحيرة ولذلك كتبها أهل الحجاز بالواو لأنهم نقلوا الخط من أهل الحيرة " (٢٣٨)

وقد وصف الدكتور تمام حسان كيفية إنتاج الألف المفخمة وصفا دقيقا فقال :

"هى ألف تستدير فى نطقها الشفتان قليلاً مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل ويرتفع مؤخر اللسان قليلاً فيصير الفم فى مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التى نسميها التفخيم على لغة أهل الحجاز ، وهو أوغل فى بابه من تفخيم القبائل الأخرى حتى إن بعض الألفات المفخمة على لغة الحجازيين فى مثل كلمتى الصلاة والزكاة لما جاورت أصواتا غير مطبقة فخشى مدونو القرآن على تفخيم الألف ، فلهذا السبب كتبوها فى صورة الواو ليعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة " (٢٣٩)

وعلى كل ، فتفخيم الألف ليس ظاهرة فونيمية من شأنها التفريق بين معانى الكلمات المتماثلة فى تركيبها الصوتى غير هذه الظاهرة وإنما هو ظاهرة (تطريزية) لا تؤدى إلى اختلاف معنى الكلمة المتصفة بها عن معناها إذا خلت منها . وهى ظاهرة تتأثر بالسياق وتنتج عنه (٢٤٠) فتكون سياقية مكتسبة ، وأحياناً تمثل مستوى لهجيا معينا فتكون ذاتية فى الألف بصرف النظر عن السياق الذى ترد فيه .

والإمالة بنوعيها (أو إمالة الألف وتفخيمها) هى المرحلة الانتقالية فى اللغة العربية بين صوت اللين المركب وألف المد الخالصة على ما يتصوره بعض المحدثين (٢٤١).

وخلاصة القول فى تفخيم الألف:

أ- أن هذا التفخيم على نوعين : سياقى مكتسب وذاتى أصلى .

ب- أطلق القدماء هذا المصطلح باعتباره نوعاً من الفتح (أو مرادفاً له) فى مقابل الإمالة ، وبعضهم يسميه الضم فى مقابل الكسر بمعنى الإمالة أيضاً . كما أطلقوه باعتباره نوعاً من الإمالة مقابلاً للفتح .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جـــ- الفــرق بين فتح الألف وإمالتها وتفخيمها يكمن فى وضع اللسان والشفتين حال النطق بها ، ويتلخص ذلك فيما يلى :

أ- فــتح الألــف (ألــف الطبيعة المعتادة) : واللسان معها مستوٍ فى قاع الفم تقريباً، ووضع الشفتين محايد (= مفتوح)

ب- الألــف الممالة : يرتفع معها أول اللسان نحو الحنك الأعلى أقل من ارتفاعه فــى نطــق الكســرة ، والشفتان فى حالة انفراج أقل من انفراجهما فى نطق الكسرة .

ج- الألف المفخمة : يرتفع مؤخر اللسان نحو الحنك الأعلى ، والشفتان فى حالة استدارة أقل من استدارتهما فى نطق الضمة .

وبعد ، فهذا ما تيسر للبحث فى ألف المد بين السماع والنظر ،

وبالله التوفيق

وكتبه : الدكتور محمود عمر

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ملخص البحث

يحـــاول هذا البحث أن يتعرف أوصاف [ألف المد] منفردة ، وأهم المسموع فـــيها فـــى السياق ، وأهم آراء اللغويين – القدماء والمحدثين – التى بنوها على نظرهم فى هذا المسموع ، فبين ما أطلق عليه لفظ [الألف] ، والعلة فى إفراد [ألـــف المد] بالبحث دون أختيها ، الواو والياء ، والأغراض التى يمكن تحقيقها ، ثم عالج مسائله موثقة فى نقاط أهمها :

أ- الألـــف المعتادة من حيث [أوصافها ، والعلاقة بينها وبين الفتحة القصيرة ، ومواضـــع إشـــباع هذه الفتحة حتى تصير ألفا ، وتقصير الألف المعتادة حتى تعود فتحة قصيرة ، وإشباع الألف أو تطويلها ، وإضعاف الألف المشبعة أو تقصـــيرها ، وهمز الألف ، وأطوارها كما تصورها بعض المحدثين ودراسة هـــذه الأطـــوار ممـــثلة فى : ألف المثنى ، وألف المقصور المضاف إلى ياء المتكلم ، والألف المتطرفة الموقوف عليها ، وألف إلى وعلى ولدى]

ب- ألـــف الإمالة وألف التفخيم : وهما – فى عرف القدماء – فرعان عن ألف المـــد ، وفـــى رأى بعـــض المحدثين مرحلة من مراحل تطور صوت اللين المركـــب إلـــى ألـــف المد الخالصة ، ثم بين البحث الفرق بين الفتح والإمالة والتفخيم .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الحواشى والتعليقات

١- انظر : دراسات فى علم اللغة ، للدكتور كمال محمد بشر ص ٧٥ و ٨١

وقد عرض أستاذنا فى هذا الكتاب لـ " ألف المد" ضمن دراسة قيمة فى الألف والواو والياء ، وفيما يختص بالألف قدم فكرة تاريخية عن مدلولاتها ووضعها فى الأبجدية الإملائية قديما وحديثا ، ثم دراسة فى الألف على المستوى الصوتى من وجهة النظر الحديثة ، وأرجأ الكلام فى المقارنة بين هذه النظرة وما رآه علماء العربية فى الموضوع نفسه على أن يعود إليه فى دراسة خاصة مع الواو والياء ، وقد ترك أستاذنا - عن قصد - أنواعا من ألف المد لم يشأ أن يتعرض لها فى دراسته للألف (انظر الحاشية ص ١٣٠) وهى من مجالات هذا البحث التى يهتم بدراستها .

٢- فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب ، ص ٣٩٦

وفى هذا الكتاب دراسة بعنوان : مشكلة الخط العربى وأوهام اللغويين (ص ٣٩٦ -ص٤١٢) ، أراد المؤلف أن يبين فيها أن " الخط العربى بصورته الحالية كان من الأسباب التى أدت باللغويين القدامى إلى عد أصوات العلة أصواتا ثانوية بالنسبة للأصوات الصامتة " وأن تأثرهم بالصورة المكتوبة وغفلتهم عن النطق أوقعهم فى " أوهام كثيرة فى قواعدهم وقوانينهم وأحكامهم اللغوية "

٣- السابق ، ص ٤٠٨

٤- السابق ، ص١٩٤

٥- انظر : دراسات فى علم اللغة ،ص ٧٦

٦- الممتع فى التصريف ٦٦٤/٢

٧- سر صناعة الإعراب ٤١/١و٤٢ .

٨- الممتع ٦٦٣/٢ .

٩- المقتضب ٣٢٨/١ .

١٠ - انظر سر صناعة الإعراب ٤٢/١ و ٤٣ و ٦٥١/٢ و ٦٥٢

هذا ، ورسمت " الهمزة " - هنا - كما رسمت فى الأصلين برأس العين هده (ء) فوق " الألف " هذه (ا) أو تحتها - فى تلك الألفاظ : أحمد وإبراهيم وأترجة وأبلم وإثمد لكن هذا الرسم يناقض النص فى الأصلين على أنها " تكتب ألفاً " أو " بالألف "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وليس على ألف أو تحتها ، ويناقض النص على أن صورتها وصورة ألف المد واحدة ، لذا فالأصح أن تكتب الهمزة – هنا – هكذا (ا) بدون رأس العين هذه (ء) .

١١- قوله : " من الصدر " إشارة إلى أن " الألف المتحركة التى هى همزة ' أعمق الأصوات مخرجا ، ولا خلاف بين القدماء والمحدثين فى هذا ، غير أن القدماء يسمون هذا المخرج أقصى الحلق أو أوله أو أسفله ، ويسميه المحدثون الحنجرة أو فتحة المزمار .

[انظر فى هذا للقدماء : الكتاب ١٠٢/٤ وسر صناعة الإعراب ٤٦/١ ، وللمحدثين : فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص٧٧ ، ودراسات فى علم اللغة ص ١٢٤ ، ودراسة الصوت اللغوى ، للدكتور أحمد مختار عمر ص ٢٩٨]

١٢- إطلاق هذا الوصف " ساكنة " على " ألف المد " إطلاق مضلل ملبس – فى رأى بعض المحدثين – لأسباب منها أن فيه خلطاً بين الصوت المنطوق وصورته المكتوبة ، ولا يصح بحال إطلاقه على (ألف المد) خاصة وإن جاز إطلاقه على أختيها الواو والياء فى بعض المواضع كما فى نحو (ولد ويلد) وذلك باعتبار أن الصوت الساكن هو ما ليس بحركة ، وألف المد لا تكون إلا حركة أو مصوتا ، وهذه حقيقة أجمع المحدثون عليها وأدركها جمهور القدماء. [انظر : دراسات فى علم اللغة ، الحاشية ص ٨٢ و ٨٣ ، ومجلة عالم الفكر ص ١٦٩ العدد الثالث سنة ١٩٨٩]

والواقع أن " الساكن " فى عرف القدماء هو ما لا يقبل الحركة ، وهم يطلقون هذا الوصف على أحرف العلة (وهى حركات طويلة لا يعقل أن تحرك) فى مقابل وصفهم الأصوات الصامتة بالمتحركة ، أى تقبل الحركة ، حتى إن سيبويه يعبر عن سكون أحرف العلة بأنها ميتة ، من هذا :

- قوله – فى واو (عجوز) ، وألف (رسالة) ، وياء (صحيفة) : " وهذه الحروف لما لم يكن أصلها التحريك وكانت ميتة لا تدخلها الحركة على حال ... "
- وقوله : " فهذه الأحرف الميتة التى ليس أصلها الحركة أجدر أن تغير .." [الكتاب ٣٥٦/٤ ط بيروت]
- وقوله :" إنما جسروا على حذف الألف لأنها ميتة لا يدخلها جر ولا رفع ولا نصب"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

- [انظر الكتاب ٢/٢٦٢ و ٣/٣٥٦ و ٤٢٣ و ٤٦٩ و ٣٥٥ و ٣٥٦]

١٣- يتكلم القدماء - وبعض المحدثين - فى مسألة " مخرج " صوتى للفتحة بنوعيها القصير والطويل" فالمبرد يقول : " الفتحة من مخرج الألف " [المقتضب ١/٢٩٢]

- والدكتور إبراهيم أنيس يقول : " مخرج الفتحة ووضع اللسان معها هو نفسه مخرج ألف المد ووضع اللسان معها ." [فى اللهجات العربية ص٦٤]

- وجمهور القدماء على أن مخرج الألف هو أقصى الحلق ، ثم يضعها بعضهم مع الهمزة والهاء فى رتبة واحدة فيه [الارتشاف ١/٦ تحقيق الدكتور رجب عثمان]، ووضعها سيبويه بعدهما فى هذا الحيز فى موضع من كتابه [٤/٤٣٣] ، وبينهما فى موضعين [٤/١٠٢ و ٤٣١] ولم يأت لها بذكر مع أحرف الحلق عندما عدها ستة [٤/١٠١ و ١٠٧]

- ونسب الخليل " الألف اللينة " إلى الجوف والهواء [العين ١/٥٧ و ٥٨] ، ولأنها "هواء فى الحلق يسميها النحويون الحرف الهاوى " أو هى من أقصى الحلق " هاوية هناك " [المقتضب ١/٢٩٢ و ٣٢٨ ، وانظر الكتاب ٤/٤٣٥ و ٤٣٦ : وسر صناعة الإعراب ١/٤٦ و ٦٢]

- ومن المحدثين من ينسبها إلى " مكان ما فى تجويف الفم " أو إلى منطقة " الغار والطبق الليـن مع وسط اللسان " [دراسة الصوت اللغوى ص ٢٧١ و ٢٩٦ و ٢٩٧]

- وبعض القدماء يقول إنها " لا مخرج لها " [الهمع ٦/٢٨٨] ، وذلك لأنها - كما سيأتى من وصف المحدثين - " يمضى فى النطق بها تيار الهواء من الداخل إلى الخارج دون عقبه " [علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ص ٢٢٦] ولا يبعد عن هذا الوصف قول ابن جنى " أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر " [سر صناعة الإعراب ١/٨]

١٤- سر صناعة الإعراب ١/٤٢ و ٤٣

١٥- قال الدكتور كمال بشر: إن " الثابت أن الفتحة الطويلة وكذلك كل حركة يمكن النطق بها وحدها" أى يمكن الابتداء بها. [انظر: دراسات فى علم اللغة الحاشية رقم ٤ ص ٩٧]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وذكـــر الدكـــتور رمضان عبد التواب أنه " لا يجوز الابتداء بحركة " فى اللغة العربية الفصحى [فصول فى فقه العربية ص ١٩٤]

١٦- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع للسيوطى ٣٦٤/٤

١٧- سر صناعة الإعراب ٤٣/١

١٨- شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٣١/٣ و ٣٢

١٩- هكـــذا رسمت فى الأصل ، والأصوب أن ترسم هكذا [ا] بدون رأس العين هذه (ء) كما مر التنويه على ذلك .

٢٠- شـــرح شـــافية ابـــن الحاجب للرضى ٣٢٠/٣ و ٣٢١ والأصوب أيضاً أن ترسم الهمزة في (إبل وأحَد وأحُد) هكذا (ا) بدون رأس العين .

٢١- كفانا هذا أستاذنا الدكتور كمال بشر [راجع الحاشية رقم ١] فى هذا البحث .

٢٢- دراسات فى علم اللغة ص ٨٤

٢٣- ممن عرض لهذه الأمور من القدماء ابن جنى فى كتابه [سر صناعة الإعراب ٢/ ٦٥٣] وما بعدها ، والمبرد فى كتابه المقتضب ١٩٤/١ وما بعدها

٢٤- انظـــر : مجلـــة عالم الفكر ص ١٦٧ ، من بحث للدكتور أحمد الحمو ، بعنوان : محاولة ألسنية فى الإعلال ، العدد الثالث سنة ١٩٨٩م .

٢٥- انظر : الخصائص لابن جنى ٢٥٦/١ وما بعدها

٢٦- السابق ١٢٦/٣ و ١٢٧

٢٧- دراسات فى علم اللغة ص ١٣٨

٢٨- انظر : مجلة عالم الفكر ص ١٦٩ ودراسات فى علم اللغة الحاشية ص ٨٢ و ٨٣

٢٩- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، للدكتور غانم قدورى الحمد ، ص٥٠٢ ومصـــطلح " الأصـــوات الذائـــبة " يفضله الدكتور غانم فى وصف أصوات المد واللـيـــن مقـــابلا لمصـــطلح " الأصوات الجامدة " - بدلاً من مصطلح "الأصوات المصـــوتة " فـــى مقـــابل "الأصوات الصائتة " وذكر أن " الذائب " و " الجامد " مصـــطلحان معـــروفان عند علماء التجويد منذ ما يقرب من ألف سنة [المرجع الســـابق ص ١٥٥ ومـــا بعدها] وسميت أصوات المد واللين بالأصوات الذائبة " لأنهـــا تـــذوب وتلين وتمتد ، وما عداها جامد لأنه لا يلين ولا يذوب ولا يمتد " [المرجع السابق ص ٣٤٣ عن الإيضاح ص ٧٤]

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٠- انظر : فى اللهجات العربية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٦٥ و ٦٦ و١٤٣ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص٢٩١ – ٢٩٨ وبحوث ومقالات فى اللغة ص ٢٤٤ –٢٥٠ وكلاهما للدكتور رمضان عبد التواب .

٣١- انظر : دراسات فى علم اللغة ص ٨١ و ٨٢

٣٢و٣٣- انظر : فى اللهجات العربية ص ٤٠ وما بعدها و ١٤٤

٣٤- الكتاب ٤/٤٣٥ و ٤٣٦

٣٥- انظر : التحديد فى الإتقان والتجويد لأبى عمرو الدانى ص ١٠٧ و١٠٨

٣٦- انظر : الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص ٢٧ و٢٩ و ١٣٢

٣٧- انظر : الموضح فى التجويد لعبد الوهاب القرطبى ، ص ٩٧ و ٩٨

٣٨- انظر : الخصائص ٣/١٢٦ و ١٢٧

٣٩- الهمع ٦/٢٩٥ .

٤٠- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبى حيان ، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد ، ١/١٢ والهمع ٦/٢٩٤ .

٤١- دراسات فى علم اللغة ص ١٣٠ .

٤٢- سر صناعة الإعراب ١/٢٣ .

٤٣- المقتضب ١/١٩٩ .

٤٤- سر صناعة الإعراب ٢/٦٥١ وانظر الحاشية رقم ١٢ من هذا البحث .

٤٥- الكتاب ٢/٤٠٥ والمقتضب ١/٣٣١ و سر صناعة الإعراب ١/٦٠ وشرح شافية ابن الحاجبْ للرضى ٣/٢٥٩

٤٦- سر صناعة الإعراب ١/٨

٤٧- زاد بعضهم : " وخلال الأنف معهما أحيانا " انظر فصول فى فقه العربية ص ٣٩٦ .

٤٨- دراسات فى علم اللغة ص ١٣٢ و ١٣٤ ، وانظر : علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية للدكتور محمود فهمى حجازى ص ٢٢٦ .

٤٩- دراسات فى علم اللغة ، ص ١٣٣ و ١٣٤ وانظر : فى اللهجات العربية ص٦٤ والأصوات اللغوية ص ٣٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥٠- دراسات فى علم اللغة ، ص ١٣٤ ، وانظر : دراسة الصوت اللغوى ص ٢٧١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و٢٩٦ و ٢٩٧ و ٣٣٩

٥١- الخصائص ١٢٧/٣ و ١٢٨

٥٢- السابق ٣١٥/٢ و ٣١٦

٥٣ - سر صناعة الإعراب ٢٣/١ و ٢٧

٥٤- أسباب حدوث الحروف لابن سينا ص ٨٥

٥٥ - الأصوات اللغوية ص١٢٨

٥٦- مجلة عالم الفكر ص ١٦٩.

٥٧- انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ص٣٠٢

٥٨- الخصائص ١٢١/٣

٥٩- سر صناعة الإعراب ١٧/١

٦٠- المحتسب ٣٤٠/١

٦١- السابق ٢٥٨/١

٦٢- انظر : المحتسب ٢٥٩/١

٦٣- انظر : الإتحاف ١٦٨/١

٦٤- انظر : المحتسب ١٦٥/١ و ١٦٦

٦٥- انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٠٢ وما بعده

٦٦- انظر : الهمع ٢٠٠/٦ وما بعدها ، وسر صناعة الإعراب ٦٧٥/٢ والكتاب ٢٣٨/٤

٦٧- الكتاب ١٦٦/٤ ،وانظر :شرح شافية ابن الحاجب للرضى٢٧٢/٢ و٢٧٤و ٢٧٩ و٣١٦

٦٨- من أسرار اللغة ص٢٢٦

٦٩- سر صناعة الإعراب ٤٧٠/٢ و ٤٧١ و ٤٧٥

٧٠- الآيات ١٠ و ٦٧ من سورة الأحزاب و ٢٥ من سورة الإنسان على الترتيب .

٧١- علة عدم التنوين فى (السبيل) و (الظنون) اقترانهما بال ، وفى (قوارير) منعها من الصرف .

٧٢- سر صناعة الإعراب ٦٧٧/٢

٧٣- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ٢٣٧٧/٥

٧٤- سر صناعة الإعراب ٦٧٧/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٧٥- الارتشاف ٨٠١/٢ تحقيق الدكتور رجب عثمان ، وانظر : الكتاب ٢٣٨/٤ والهمع ٤٠٥/٤ و ٢٠٥/٦

٧٦- سر صناعة الإعراب ٦٧٨/٢

٧٧- المقتضب ١٩٩/١ و ٣٥٤

٧٨- انظر : المحتسب ٢٨٤/٢ والبحر ١٢٦/٨ والآية ٢٤ من سورة قَ . هذا ، وتخريج قراءة الجماعة على أن فعل الأمر مؤكد بالنون الخفيفة .. الخ يؤيده قراءة الحسن البصرى: " أَلْقِيَنْ " بهذه النون ، وهى قراءة تلقف ما يدعيه الشيخ الدكتور / محمد عبد الخالق عضيمة من خلو القرآن الكريم بقراءاته المختلفة المتواترة وغيرها من فعل الأمر المؤكد بالنون مع كثرة هذا الفعل فى القرآن الكريم [انظر له : دراسات لأسلوب القرآن الكريم ١٣/١و١٤]

٧٩- سر صناعة الإعراب ٦٧٩/٢

٨٠- شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٧٩/٢ و ٢٨٠ والهمع ٢٠٥/٦

٨١- سر صناعة الإعراب ٦٧٩/٢ و ٦٨٠

٨٢- السابق ٧١٩/٢ والخصائص ١٢٣/٣ والمحتسب ٢٥٨/١

٨٣و٨٤- الكتاب ١٦٣/٤ و ١٦٤ ، ولاحظ تعبير سيبويه الذى يدل صراحة على أن للكلمة حالتين ، حالة الوصل وحالة الوقف ، مما يدل على أن شيئا لم يقلب عن شئ ، وأن كل حالة منهما مستقلة عن الأخرى .

٨٥- انظر : البحر المحيط ٢٨٨/٢ و ١٢٧/٦ و ١٢٨

٨٦- معانى القرآن للفراء ١٤٤/٢و شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٩٤/٢ ، وانظر : ٢٢٤/٣ منه ، والمفصل ٣٧٣/٣٤٣

٨٧- الارتشاف ، تحقيق الدكتور مصطفى النماس ٤٠٦/١ وانظر : سر صناعة الإعراب ٥٥٥/٢

٨٨- الكتاب ٢٣٨/٤

٨٩- سر صناعة الإعراب ٧٢١/٢ و ٧٢٢ وانظر : الهمع ٤٠٤/٤

٩٠- سر صناعة الإعراب ٧٢٣/٢

٩١- السابق ٧٢٠/٢ والخصائص ١٢٨/٣

٩٢- الكتاب ٢١٦/٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩٣- سر صناعة الإعراب ٢/٧٢٥

٩٤- الخصائص ٣/١٢٩ وسر صناعة الإعراب ٢/٧٢٥

٩٥- سر صناعة الإعراب ١/٢٣ -٢٥ وانظر : الكتاب ١/١٧١ والمغنى ٣٧١

٩٦- سر صناعة الإعراب ١/٣٣٨

٩٧- الخصائص ٣/١٢١ و ١٢٢

٩٨- المحتسب ١/١٦٦ وانظر : ص ٦٩ و ٧٨ منه

٩٩- الكتاب ١/٣١

١٠٠و١٠١- سر صناعة الإعراب ٢/٧١٩ و ٧٢٠

١٠٢- السابق ٢/٧٢٦ وانظر : الكتاب ٤/١٨٩

١٠٣و١٠٤- الخصائص ٣/١٣٣ و ١٣٤ وسر صناعة الإعراب ٢/٧٢٧ و٧٢٨

١٠٥- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ٥/٢٤٠٨

١٠٦-جزء الآية ٣ من سورة النساء

١٠٧- المحتسب ١/١٨١ وانظر : الخصائص ٣/١٣٤ و ١٣٥

١٠٨- البحر ٥/٢٨٠ ط بيروت والآية ٤ من سورة يوسف .

١٠٩- الكتاب ٤/١٩٠

١١٠- المحتسب ١/٣٢٢ وجزء الآية ٤٢ من سورة هود .

١١١- البحر ٥/ ٢٢٦ و ٢٢٧ ط بيروت

١١٢- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ٥/٢٤١٠

١١٣- سر صناعة الإعراب ٢/٧٢٧ وانظر : شرح شواهد شرح الشافية ص ٢٤٠

١١٤-هكذا - فى الأصل - جاء ضبط [مَنَهْ و فَيَهْ] وضبطت [مَنَهْ] فى الارتشاف ٢ /٨٠٣ تحقيق الدكتور رجب عثمان ، هكذا أيضاً ، ولعل الأصوب أن يكون الضبط هكذا [مِنَهْ وفِيَهْ]

١١٥- الهمع ٦/٢٠٤

١١٦- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ٢/٨٠٣

١١٧- السابق ٥/٢٤١٠ و ٢٤١١

١١٨- من أسرار اللغة ٢٢٦

١١٩- السابق ٢٣٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢٠- أسباب حدوث الحروف ص ٨٥

١٢١- التحديد فى الإتقان والتجويد ، للدانى ص ٩٨

١٢٢- انظـــر : الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥٣٩ فما بعدها ، والإتحاف ١٦٦/١ فما بعدها ، والأصوات اللغوية ص ١٣٠ فما بعدها .

١٢٣- الأصوات اللغوية ص ١٢٧

١٢٤- التحديد فى الإتقان والتجويد ص ٩٨

١٢٥- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٥٢٤

١٢٦- الإتحاف ١٥٧/١

١٢٧- الأصوات اللغوية ص ١٣٠

١٢٨- الخصائص ١٢٤/٣ و ١٢٥

١٢٩- قصـــده : ســـكون الـــواو بعد الضمة والياء بعد الكسرة ، وهذا شرط كون الواو والـــياء من الأصوات " المصوتة " أو الحركات ، ويعدان فى غير هذه الحالة من الأصـــوات الصـــامتة، كما مر فى متن هذا البحث ، أما " الألف " فلا تكون إلا مصوتة ، ويعبر القدماء عن ذلك بأنها " لا تكون إلا ساكنة تابعة للفتحة" ، انظر: سر صناعة الإعراب ٦٥١/٢ والنشر ٢٤٥/١ .

١٣٠- الخصائص ١٢٤/٣ و ١٢٥

١٣١- سر صناعة الإعراب ١٧/١ و ١١٨

١٣٢- انظر : الخصائص ١٢٤/٣-١٢٧

١٣٣- الأصوات اللغوية ص ١٣٠

١٣٤- التحديد فى الإتقان والتجويد ص ٩٨ و ١٢١

١٣٥- الخصائص ١٢٥/٣ وانظر : التحديد ص ١٢١

١٣٦- الخصـــائص ١٢٦/٣ ، وخصـــت (الألـــف) بالذكر - هنا - دون أختيها الواو والـــياء لأن الألـــف هى الأصل فى هذا المد " وقد يكون سقط (والواو والياء) والأقـــرب أنـــه محـــرف عن بالأحرف " اهـــ ، من تعليق محقق الخصائص فى الحاشية رقم ٢ جـــ٣ ص ١٢٦

١٣٧- انظر : التحديد فى الإتقان والتجويد ص١٢١

١٣٨- الأصوات اللغوية ص ١٣٠ و ١٣١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٣٩- انظر : الموضح فى التجويد ١٢٨ و ١٢٩

١٤٠- السابق ١٢٩

١٤١- السابق ١٣٦

١٤٢- الأصوات اللغوية ص ١٣٥

١٤٣- الهمع ١٧٧/٦

١٤٤- الخصائص ١٢٦/٣ و ١٢٧ وانظر : النشر ٢٤٥/١ و ٢٤٦ و ٩٥/٢

١٤٥- انظر : شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٤٨/٢-٢٥٠

١٤٦- الممتع ٣٢٣ و ٣٢٤

١٤٧و١٤٨- سر صناعة الإعراب ٩٠/١ و ٦٦٦/٢ و ٦٦٧

١٤٩- الخصائص ١٤٧/٣ و ١٤٨ ، وانظر : المحتسب ٤٦/١ و ٤٨ و ١٤٨/٢ و ٣٠٥، وسر صناعة الإعراب ٨٠/١

١٥٠- سر صناعة الإعراب ٧٢/١ وانظر ٤٧/١ و ٧٢٨/٢ منه ، والمقتضب ٣٣٩/١

١٥١- سر صناعة الإعراب ٧٤/١

١٥٢- الممتع ٣٢٢ وانظر الهمع ١٧٨/٦

١٥٣- انظر : البحر ١٥١/١ ط بيروت ، والمحتسب ٤٧/١

١٥٤- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ٧١٧/٢

هذا ، وقد ينوى تحريك الألف التى لا يليها ساكن فتهمز ، ولا يتعين عندئذ تحريكها بالفتحة بل تحرك " بالحركة التى للألف فى الأصل " نحو المشتِق ومَئِل ، والأصل: المشتاق ومال ، انظر الممتع ٣٢٤ و ٣٢٥ وشرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٥٠/٢

١٥٥- انظر : فصول فى فقه العربية ص ١٩٤ وما بعدها .

١٥٦- انظر : مجلة عالم الفكر ١٧٩ و ١٨٠

١٥٧- سر صناعة الإعراب ٧٢٠/٢ وانظر المحتسب ٥٥/١

١٥٨- سر صناعة الإعراب ٧٢٠/٢

١٥٩- انظر : اللهجات العربية فى القراءات القرآنية : للدكتور عبده الراجحى ص١٦٧ و ١٦٨ ، وقيل فى تعريف المقصور إنه " الاسم الذى حرف إعرابه ألف لازمة "

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وفـــى تعريف الممدود إنه " الاسم الذى حرف إعرابه همزة تلى ألفا زائدة ، انظر : الارتشاف ٥١٢/٢ ، تحقيق الدكتور رجب عثمان .

١٦٠- انظر : حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك ١٠٩/٤و١١٠و الارتشـــاف ٢٣٦/١ و ٢٣٧ تحقـــيق الدكـــتور مصطفى النماس و الإنصاف فى مسائل الخلاف ط ليدن ٣١٦ م ١٠٩

١٦١- البحر ١٠٠/٨ ط بيروت

١٦٢- السابق ٤٧١/٥

١٦٣- السابق ٧٥/٨ و ٧٦

١٦٤- انظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٦٧

١٦٥- انظر البحر ١٣٨/١

١٦٦- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٦٨

١٦٧- انظـــر : في اللهجات العربية ص ٦٥ و ١٤٣ و ١٤٤ ، ونقلت الفكرة – هنا – بتصرف يسير .

١٦٨- انظـــر : المدخـــل إلـــى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ٢٩١ – ٢٩٨ وبحوث ومقالات في اللغة ٢٤٤-٢٥٠

١٦٩- انظر : دراسات في علم اللغة ص ٩٤ و ٩٥

١٧٠- انظر : الكتاب ١٧/١

١٧١- انظـــر : ســـر صـــناعة الإعراب ٦٩٥/٢ وما بعدها ، والمقتضب ١٥١/٢ وما بعدها .

١٧٢- زاد بعـــض المحدثيـــن طـــريقة ثالثة وهى استعمال المثنى بألف ممالة (لا هي بالكســـر ولا بالفتح) وقال إن لها أثرا باقيا في معظم اللهجات العربية الحديثة [انظر : من أسرار اللغة ص ٢٧٠ و ٢٧١]

١٧٣- انظر : سر صناعة الإعراب ٧٠٤/٢ وما بعدها .

١٧٤- انظـــر : الهمع ١٣٣/١ ، والبحر ٢٥٥/٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٨/٣ وما بعدها .

١٧٥- انظر : سر صناعة الإعراب ٧٠٤/٢

١٧٦- البحر ١٥٥/٦ ، وجزء الآية ٨٠ من سورة الكهف .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٧٧- البحر ٣٩١/٨ ، وجزء الآية ٣٩ من سورة القيامة .

١٧٨- الارتشاف ٥٥٨/٢

١٧٩- انظر : الخصائص ١٤/٢-١٦

١٨٠- انظر : من أسرار اللغة ص ٢٧٠ و ٢٧١

١٨١- انظر : في اللهجات العربية ص ٨٤ و ١٤٣ و ١٤٤

١٨٢- انظر : من أسرار اللغة ص ١٩٨-٢٧٤

١٨٣- انظر : فصول في فقه العربية ٣٧١ - ٣٩٥

١٨٤- انظر : اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٧ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٤٠

١٨٥- الكتاب ٢٢٣/٢

١٨٦- السابق ٤١٣/٣ و ٤١٤

١٨٧- معاني القرآن للأخفش ٦٩/١

١٨٨- المحتسب ٧٦/١ ، وانظر البحر ٣٢٢/١ ط بيروت .

١٨٩- جزء الآية ٣٨ من سورة البقرة وجزء الآية ١٩ من سورة يوسف ، وانظر : المحتسب ٧٦/١ و ٣٣٦ ، وسر صناعة الإعراب ٧٠٠/٢ و ٧٠١ و ٧٠٣ ، والخصائص ١٧٦/١ و ١٧٧ والبحر ١٦٩/١ وشرح المفصل لابن يعيش ٣٣/٣

١٩٠- البحر ٢٦٢/٤.

١٩١- المفصل للزمخشرى ١٠٧ و ١٠٨

١٩٢- انظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص ٢٩٢ و ٢٩٣

١٩٣- في اللهجات العربية ص ١٤٤

١٩٤- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ١٨٥٠/٣

١٩٥- انظر : الكتاب ١٨١/٤ و ١٨٢ و ٢٣٨

١٩٦- السابق ١٧٦/٤ و ١٧٧

١٩٧- شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٨٦/٢ ، وانظر في الوقف على الألف : الخصائص ١٧/٢ وسر صناعة الإعراب ٧٤/١ و ٧٠١/٢ و ٧٠٢ والمحتسب ٧٧/١ و ٢٢ و ٢٣ والهمع ٢٠٥/٦

١٩٨-انظر : في اللهجات العربية ص ١٤٤ و ١٤٥

١٩٩- السابق ١١٠ و ١١١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٠٠- الهمع ٢٩٨/٤

٢٠١- أوضـــح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، الجزء الثالث ص٢٠٠

٢٠٢- المفصل ص ١٠٨

٢٠٣- الهمع ٢٩٨/٤ وانظر : الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ١٨٥٠/٣

٢٠٤- الـبحر ١٣٣/٥ و ٢٠٢ و ٢٥٥/٦ ، وعـبارته لا تسـتقيم إلا بتقدير محذوف فتصير هكذا : " بنى الحرث بن كعب ، يقولون السلام علاك "

٢٠٥- شرح المفصل لابن يعيش ١٢٨/٣

٢٠٦- الهمع ٢٩٥/٦

٢٠٧- انظر : المقتضب ٣٢٨/١ و ٣٣٠ ، وشرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٥٥/٣

٢٠٨- الارتشاف ، تحقيق الدكتور رجب عثمان ١٢/١ والهمع ٢٩٤/٦

٢٠٩- الكتاب ٤٣٢/٤ : وانظر : الموضح في التجويد ص٨١

٢١٠- انظر : سر صناعة الإعراب ٤٦/١ و ٨١٧/٢

٢١١- في اللهجات العربية ص ٦٤

٢١٢- ســر صـــناعة الإعراب ٥٢/١ ، وانظر : المقتضب ٤٢/٣ والارتشاف تحقيق الدكتور رجب عثمان ٥١٨/٢ والمفصل ٣٣٥ والهمع ١٨٣/٦

٢١٣- شرح المفصل لابن يعيش ٥٤/٩

٢١٤- سر صناعة الإعراب ٨١٦/٢ و ٨١٧ والخصائص ١٤١/٢

٢١٥- الهمع ١٨٣/٦

٢١٦- انظر : الإتحاف ٢٤٧/١

٢١٧- النشر في القراءات العشر لابن الجزرى ٢٤/٢

٢١٨- الكـتاب ٢٧٨/٣ ، وتطلق الإمالة – مجازا – على الترقيق الذي يطلق في مقابل التغلـيظ والتفخـيم وهما مترادفان إلا أن التغليظ خاص باللام ، والتفخيم خاص بالراء [انظر النشر ٨٣/٢]

٢١٩- الموضح ٨١ و ٨٣

٢٢٠- الإتحاف ٢٤٧/١ وانظر : النشر ٢٤/٢ والبحر ٥٩/١ و ٧٢/٦

٢٢١- انظر : في اللهجات العربية ص ٦٤ و ٦٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٢٢- السابق ص ٦٠ وانظر : اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص١٣٩ و ١٤٠ وبحوث ومقالات في اللغة – ص ٦٤ والبحر ١٣٤/١ والنشر ٤٢/٢

٢٢٣- الارتشاف ، تحقيق الدكتور النماس ٢٤٦/١

٢٢٤- السابق ٢٣٨/١ والهمع ١٨٤/٦

٢٢٥- اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص ١٤١

٢٢٦- النشر ٢٤/٢

٢٢٧- انظـر في ذلك : الكتاب ١١٧/٤ وما بعدها ، وشرح شافية ابن الحاجب للرضى ٤/٣ وما بعدها ، والهمع ١٨٣/٦ وما بعدها ، والارتشاف ٢٣٨/١ وما بعدها ، والإمالة فـي القراءات واللهجات العربية للدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى ط ٣ سنة ١٩٨٣ – دار الشروق بجدة ، السعودية .

٢٢٨- انظر : دراسات فى علم اللغة ص ١٣٥ و ١٣٦ .

٢٢٩- انظر : سر صناعة الإعراب ٥٠/١ و ٥٢ والارتشاف ، تحقيق الدكتور النماس ١٣٩/١ والهمع ٢٩٤/٦و ٢٩٥ والموضح ٨٣ .

٢٣٠- البحر ١٧٢/٦

٢٣١- النشر ٢٤/٢

٢٣٢- الموضح ٢٤

٢٣٣- التحديد ص ١٠٠ و ١٠١

٢٣٤- انظر : سر صناعة الإعراب ٥٠/١ و ٥٢

٢٣٥- فى اللهجات العربية ص ٦٥ و ٦٦

٢٣٦- البحر ٥٩/١ و ١٧٢/٦ والكتاب ٤٣٢/٤ والتحديد ١٠٠ و ١٠١

٢٣٧- شرح شافية ابن الحاجب للرضى ٢٥٥/٣

٢٣٨- البحر ٣٣٣/٢

٢٣٩- اللغة العربية معناها ومبناها ص ٥٣

٢٤٠- انظر : دراسات فى علم اللغة ص ١٣٥ و ١٣٦

٢٤١- انظـر : فى اللهجات العربية ص ٦٦ و ٦٧ و ١٤٣ و ١٤٤ والمدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ص ٢٩٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

أهم مصادر البحث ومراجعه بعد القرآن الكريم

١-إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر ، للبنا الدمياطى .
تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل - عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٧م .

٢- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبى حيان الأندلسى .
تحقيق وشرح ودراسة الدكتور رجب عثمان محمد - مكتبة الخانجى - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م ، ونسخة أخرى من تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى أحمد النماس - مطبعة المدنى ومكتبة الخانجى - القاهرة - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤م

٣- أسباب حدوث الحروف ، تصنيف الرئيس أبى على الحسين بن سينا ، تصحيح محيى الدين الخطيب ، نشر المطبعة السلفية ومكتباتها - القاهرة - ١٣٥٢هـ

٤- الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس - مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة - الطبعة الخامسة سنة ١٩٧٩م

٥- الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، لابن الأنبارى - بريل - ليدن سنة ١٩١٣ م .
ونسخة أخرى بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - مطبعة السعادة - مصر - الطبعة الثالثة سنة ١٩٥٥م

٦- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد دار الفكر - بيروت - (د.ت) .

٧- بحوث ومقالات فى اللغة ، للدكتور رمضان عبد التواب- مكتبة الخانجى - القاهرة - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٨م .

٨- التحديد فى الإتقان والتجويد ، تأليف أبى عمرو الدانى ، دراسة وتحقيق الدكتور غانم قدورى الحمد - دار عمان - الأردن - الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٩- تفسير البحر المحيط ، لأبى حيان ، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين- دار الكتب العلمية – بيروت – سنة ٢٠٠١م
ونسخة أخرى (مصورة) – مكتبة ومطابع النصر الحديثة – الرياض – السعودية (د ت)
١٠- حاشية الصبان على شرح الأشمونى على ألفية ابن مالك
دار إحياء الكتب العربية – القاهرة (د.ت)
١١- الخصائص ، لابن جنى ، تحقيق الدكتور محمد على النجار
دار الكتب المصرية – القاهرة – الطبعة الثانية سنة ١٩٥٥ م
١٢- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ، للدكتور غانم قدورى الحمد- بغداد – مطبعة الخلود سنة ١٩٨٦م
١٣- دراسات فى علم اللغة ، للدكتور كمال محمد بشر
دار المعارف – مصر – الطبعة التاسعة سنة ١٩٨٦ م .
١٤- دراسات لأسلوب القرآن الكريم ، للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة- مطبعة السعادة بمصر (د.ت)
١٥- دراسة الصوت اللغوى – للدكتور أحمد مختار عمر
عالم الكتب – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٧٦م
١٦- سر صناعة الإعراب ، لابن جنى ، دراسة وتحقيق الدكتور حسن هنداوى – دار القلم – دمشق – الطبعة الثانية سنة ١٩٩٣ م
١٧- شرح شافية ابن الحاجب لرضى الدين الاستراباذى ، تحقيق محمد نور الجسن وزميليه – مطبعة حجازى – القاهرة – الطبعة الأولى سنة ١٩٢٩
١٨- شرح المفصل لابن يعيش – إدارة الطباعة المنيرية بمصر (د ت)
١٩- علم اللغة العربية ، مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية، للدكتور محمود فهمى حجازى – دار غريب – القاهرة (د ت)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٠- العيـــن ، للخلـــيل ، تحقـــيق الدكـــتور مهدى المخزومى والدكتور إبراهيم السامرائى - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م .

٢١- فصول فى فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب
مكتبة الخانجى - القاهرة - الطبعة الخامسة سنة ١٩٩٧م

٢٢- فى اللهجات العربية ، للدكتور إبراهيم أنيس .
مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - الطبعة الثامنة سنة ١٩٩٠م

٢٣- الكتاب لسيبويه ، تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون .
دار الجيل - بيروت - (د.ت) ، وطبعات أخرى .

٢٤- اللغة العربية معناها ومبناها ، للدكتور تمام حسان
الهيئة المصرية العامة للكتاب - مصر - الطبعة الثانية سنة ١٩٧٩م

٢٥- اللهجـــات العربـــية فـــى القراءات القرآنية ، للدكتور عبده الراجحى - دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٩م

٢٦- المحتســـب فـــى تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، تحقيق على النجدى ناصف وزميليه - نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة - سنة ١٩٩٤م

٢٧-المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى،للدكتور رمضان عبد التواب
مكتبة الخانجى بالقاهرة - الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٧م

٢٨- معانى القرآن للأخفش الأوسط
تحقيق الدكتور فائز فارس - الكويت (د ت)

٢٩- معانى القرآن للفراء ، [الجزء الأول من تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - الطبعة الثانية سنة ١٩٨٠م - والجزء الثانى نشر عالم الكتب - بيروت - ط ٢ سنة ١٩٨٠ ، والجزء الثالث من تحقيق الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبى - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٢ (د ت)

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٠- مغـــنى اللبيب عن كتب الأعاريب ، لابن هشام ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد - دار الشآم - بيروت - لبنان (د ت)

٣١- المفصل فى علم العربية ، للزمخشرى
دار الجيل - بيروت - الطبعة الثانية (د ت)

٣٢- المقتضب ، لأبى العباس المبرد ، تحقيق الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة
- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٣٨٦-١٣٨٨هـ

٣٣-الممـــتع ، لابـــن عصـــفور ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة - دار الآفاق الجديدة - بيروت - الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٨م

٣٤- من أسرار اللغة للدكتور إبراهيم أنيس
مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة - الطبعة السابعة سنة ١٩٩٤م

٣٥- الموضـــح فى التجويد ، تأليف عبد الوهاب محمد القرطبى ، تقديم وتحقيق الدكـــتور غانم قدورى الحمد - دار عمان - الأردن - الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٠م

٣٦- النشر فى القراءات العشر ، لابن الجزرى ، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨ .

٣٧- همـــع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، للسيوطى ، تحقيق وشرح الدكتور عـــبد العـــال سالم مكرم والأستاذ عبد السلام هارون - مؤسسة الرسالة - بيروت سنة ١٩٩٤م

الدوريات العلمية

مجلة عالم الفكر - المجلد العشرون - العدد الثالث سنة ١٩٨٩
بحـــث للدكتور أحمد الحمو ، بعنوان : محاولة ألسنية فى الإعلال ص ١٦٧ وما بعدها .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner